

٣٠٤ الرسالة

التواصل غير اللفظي  
في الحديث النبوي الشريف  
دراسة في لغة الجسد

د. مهدي عرار

دائرة اللغة العربية - جامعة بيرزيت  
فلسطين

## المؤلف:

د. مهدي أسعد عرار:

- دكتوراه في اللسانيات والعلوم اللغوية، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩.
- أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية - جامعة بير زيت - فلسطين.
- حصل على جائزة مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، عن كتاب «البيان بلا لسان: دراسة في لغة الجسد»، أفضل كتاب مؤلف في الآداب والإنسانيات لعام ٢٠٠٨م، الكويت، ٢٠٠٩.

## الإنتاج العلمي:

### أولاً - الكتب:

- ١ - «ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصيل»، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٢ - «دراسات لسانية في ظواهر قرآنية»، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨.
- ٣ - «البيان بلا لسان: دراسة في لغة الجسد»، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٤ - «التطور الدلالي: الإشكال والأشكال والأمثال»، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.
- ٥ - «جدل اللفظ والمعنى: دراسة في دلالة الكلمة العربية»، ط١، دار وائل، عمان، الأردن، ٢٠٠٢م.
- ٦ - «إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين» للشاعراني (٩٧٣هـ)، تحقيق ودراسة، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٧ - «الفتح المبين في مدح الأمين» لعائشة الباعونية (٩٢٢هـ)، تحقيق ودراسة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٨ - «زهر الربيع في شواهد البديع»، لابن قرقماش (٨٨٢هـ)، تحقيق ودراسة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.
- ٩ - «قواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية» للشاعراني (٩٧٣هـ)، تحقيق ودراسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

### ثانياً - الأبحاث:

- ١ - «أثر استشراف التطور الدلالي في التقلي: الحديث النبوى نموذجاً»، العدد الخامس، المجلد الأول، مجلة جامعة الشارقة، الإمارات، ٢٠٠٧م.
- ٢ - «الظواهر النحوية في قراءة ابن محيصن المكي»، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، المجلد ٥٤، ٢٠٠٦م.
- ٣ - «لغة الجسد وأثرها في الإيابة: دراسة في التراث البلاغي واللغوي»، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد ٣٣، العدد ١، ٢٠٠٦م.
- ٤ - «العربية: الثابت والمتحول بين السابق واللاحق: دلالة الكلمة العربية نموذجاً»، مقبول للنشر في مجلة مجمع اللغة العربي الأردني، ٢٠٠٥م.
- ٥ - «ظواهر التبادل اللهجي الصوتية في النهاية لابن الآثير»، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد ٣١، العدد ٢، ٢٠٠٤م.
- ٦ - «انتقال الدلالة المعجمية من المادي إلى المعنوي في المعجم العربي»، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، مجلد ٣٠، العدد ٢، حزيران، ٢٠٠٣م.
- ٧ - «التفككية بين النظرية والتطبيق: كان ما سوف يكون نموذجاً»، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، العدد ٥١-٥٢، ٢٠٠٣م.

## المحتوى

١٥	- الملخص
١٧	- مهاد وتأسيس
١٩	- في مقاصد العنوان
٢١	- مقدمة في لغة الجسد
٢٣	- استشراف الظاهرة في الحديث الشريف
٢٥	- من هيئات الوجه ودلائلها
٢٦	* الوجه المستبشر الفرح
٢٧	* الوجه الكاره المنكر
٢٨	* الوجه المغضب
٣٠	* الوجه الدال على الجوع
٣١	* الوجه المستهجن المستعتب
٣١	* الوجه الفزع الخائف
٣١	* الوجه المشيغ المتعود
٣٢	* الوجه الطلق البسام
٣٥	- من هيئات الرأس ودلائلها
٣٥	* الرأس المتكلّم القائل "نعم"
٣٦	* الرأس الخفيض الرافض المعذر
٣٧	* الرأس المستنكر المستهجن
٣٧	* الرأس المشير المعين للجهة، والمجلّي للحال

٣٧	* الرأس الرّاكع والساجد
٣٨	* الرأس الحزين المنكَس
٣٨	* الرأس المعذر إلى ربّه المتوجّه إليه
٣٩	* الرأس القاطر ودلالة الإعجال
٤١	* الرأس الأشعث الأغبر
٤٢	- من هيئات العين ودلالاتها
٤٢	* العين المعجبة المستحسنة
٤٣	* العين المستنطية الطالبة
٤٣	* العين الفاحصة المتبصّرة
٤٤	* العين المتناقلة الكليلة
٤٤	* العين الشّاخصة والبصر الحديـد
٤٤	* العين الباكية الخاـشعة
٤٤	* العين الرّاضية المرضيـة
٤٧	- من هيئات اليد ودلالاتها
٤٧	* اليد المشيرة المعينة
٤٩	* اليد المنفقة
٥٠	* اليد المبـاعة
٥٠	* اليد المقلـلة المزهـدة
٥٠	* اليد المسلـمة
٥٠	* اليد العادـة المحصـية
٥١	* اليد المحـية النـافية المطمئـنة

٥١	* اليد المستحقة
٥١	* اليد المعّممة الشاملة
٥٢	* اليد المؤكّدة
٥٢	* اليد الآمرة الناطقة
٥٣	* اليد المصوّرة الراسمة للمعنى
٥٤	* اليد الداعية المتطلبة
٥٥	- حركات يديوية مركبة
٥٥	* وضع اليد على الرأس اليد الحامية المغطّية
٥٥	* أخذ اليد باليد حركة التلازم والصحبة
٥٦	* اليد الماسحة المسكّنة المتعطفة
٥٧	* ضرب اليد بالفخذ
٥٩	- من هيئات الأصابع ودلائلها
٥٩	* حركة التلازم والصحبة
٦٠	* حركة التلازم والتّرافق
٦٠	* حركة التفارق والبيانونة
٦١	* حركة التّداخل والاختلاط
٦١	* حركة الإشارة وتعيين المكان
٦٢	* حركة العدّ والحساب
٦٢	* الأصابع المقللة
٦٣	* حركة تمثيل المعنى
٦٥	- هيئات عامة ومتّمامات مساندة

٦٥	* هيئة اللبسة
٦٥	* دلالة التكبر والخياء
٦٥	* دلالة التبذل والفقر
٦٦	* دلالة التنعم والترف
٦٦	* دلالة الافتقار إلى الله وإظهارها
٦٧	- هيئة المشية
٦٧	* مشية المريض المتناقل
٦٧	* مشية الفار المفزع
٦٧	* مشية اصطناع التكبر والتبذل
٦٩	- هيئة الجلسة
٦٩	* جلسة المتعلم المسترشد
٧٠	* الانتقال من هيئة إلى هيئة
٧١	- هيئته الشريفة عند نزول الوحي
٧٣	- هيئة المشاكس
٧٥	- العصا الشريفة
٧٥	* المعنى مرسوماً
٧٧	* المعنى ممثلاً
٧٧	* المعنى مقررًا ومحققاً
٧٩	- تقلد السيف
٨١	- تقئع الوجه
٨٣	- الإشارة بالسّوط

٨٥	- الحركة الجسدية بين أداء المرسل وتمثيل الرّاوي الأمين
٨٩	- المصنّفون والتّواصل غير اللّفظي
٩١	- المقولات الكلية
٩٥	- الهوامش
١١٥	- ثبت المصادر والمراجع



## الملخص

هذِهِ مُبَاحَثَةٌ مِّضْمَارُهَا دَرْسُ الْمَعْنَى الْمُتَخَلِّقُ مِنْ لُغَةِ الْجَسَدِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَقَدْ اسْتَشَرَفَ الْبَاحِثُ مَجْمُوعَةً مِنْ هَيَّئَاتٍ بَعْضِ الْجَوَارِحِ التِّي كَانَتْ فِي سِيَاقَاتِهَا الشَّرِيفَةِ حَوَالِمٍ وَنَوَاقِلَ لِلْمَعْنَى كَمَا الْلَّفْظُ، وَمِنْ أَهْمُهَا هَيَّةُ الْوَجْهِ وَدِلَالَاتُهَا، وَالْعَيْنِ، وَالرَّأْسِ، وَالْيَدِ، وَالْأَصْبَاعِ، وَالْهَيَّئَاتُ الْعَامَّةُ، كَالْمِشِيَّةُ، وَالْجِلْسَةُ، وَاللِّبْسَةُ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ اتَّلَفَتْ هذِهِ الْمُبَاحَثَةُ مِنْ خَمْسَةِ مَطَالِبٍ مُؤْسِسَةٍ أَوْلُهَا مَقْدِمَاتُ أَوْلَيَّةٍ اشْتَمَلَتْ عَلَى بَيَانِ مَقَاصِدِ الْعُنَوانِ، وَمُقْدَمَةٍ فِي التَّوَاصِلِ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ عَامَّةً، وَلِغَةِ الْجَسَدِ خَاصَّةً، وَثَانِيَهَا التَّعْرِيْجُ عَلَى أَهْمِ الْجَوَارِحِ وَالْهَيَّئَاتِ وَالدَّلَالَاتِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَثَالِثُهَا الْمُتَمَمَاتُ الْمُسَانِدَةُ الْمُفْضِيَّةُ إِلَى مَعْنَى بَلْ مَعَانٍ، وَرَابِعُهَا الْحَرْكَةُ الْجَسَدِيَّةُ بَيْنَ أَدَاءِ الْمُرْسِلِ الْأَوَّلِ وَتَمْثِيلِ الرَّاوِي وَنَقْلِهِ، وَخَامِسُهَا فَضْلُ الْمُصْنَفَيْنِ فِي التَّعْرِيْجِ عَلَى هذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَقَدْ قَفَلُتُهَا بِاسْتِبْطَانِ الْمَقْوَلَاتِ الْكَلِّيَّةِ الَّتِي اتَّبَعْتُ عَلَى الْأَمْثَالِ الْجُزَئِيَّةِ الْمُثْبَتَةِ فِي هذِهِ الْمُبَاحَثَةِ.



## مَهَادُ وَتَأْسِيسُ

كان مِنِّي أَنْ كَتَبْتُ مُبَاحَثَةً مَوْسُومَةً بـ "الْغَةُ الْجَسِدِ وَأَثْرُهَا فِي التَّوَاصُلِ وَالْإِبَانَةِ: نَمَذْجٌ مِنَ التِّرَاثِ الْبَلَاغِيِّ وَالْلُّغُويِّ" (١)، ثُمَّ مُبَاحَثَةً أُخْرَى مِضْمَارُهَا لُغَةُ الْجَسِدِ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ (٢)، وَقَدْ قَصَدْتُ فِي الْأُولَى أَنْ أَصْرِفَ وُكْدِي تِلْقَاءَ اسْتِشَرَافِ أَثْرِ الْقُدْمَاءِ، إِنْ بَلَاغِيَّينَ وَإِنْ لُغْوَيَّينَ، فِي تَحْقِيقِ فَضْلِهَا فِي الْإِبَانَةِ وَالتَّوَاصُلِ، لِيَكُونَ صَنْيِيعِي فِي ذَلِكَ مِضْمَارِهِ "الْأَنْظَارُ الْمُؤَصلَةُ"، وَقَدْ قَصَدْتُ فِي الْثَّانِيَةِ أَنْ يَكُونَ دَرْسًا تَطَبِّيقِيًّا مُنْتَسِبًا إِلَى الْأَنْظَارِ الْمُسْتَشَرِفَةِ، ثُمَّ كَانَتْ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةُ الْمَوْسُومَةُ بِالْتَّوَاصُلِ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ، وَالْمُنْتَسِبَةُ إِلَى الْأَنْظَارِ الْمُسْتَشَرِفَةِ لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ؛ فَكَانَتْ كَثَالِثَةُ الْأَنَّاتِ.



## في مقاصد العنوان

يَتَجَلّى مِنْ ذَلِكَ الْعَنْوَانُ الْعَرِيفُ أَنَّهُ مُؤْتَلِفٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْطَابٍ مُؤْسِسَةٍ، أَوْ لَهَا اسْمُ هَذَا الدَّرْسِ، وَهُوَ التَّوَاصُلُ، وَثَانِيَهَا تَحْصِيصٌ شَطَرٌ مِنْ هَذَا الدَّرْسِ عَلَى وَجْهِ التَّعْيِينِ، وَهُوَ التَّوَاصُلُ غَيْرُ الْلَّفْظِيِّ، وَثَالِثُهَا مِضْمَارٌ هَذَا الدَّرْسِ، وَهُوَ الْحَدِيثُ النَّبِيُّ الشَّرِيفُ.

أَمّا الْقُطْبُ الْأَوَّلُ، وَهُوَ التَّوَاصُلُ، فَهُوَ مَقْصِدُ الْلُّغَةِ الْأَوَّلُ، وَهُوَ مُتَحَصِّلٌ مِنْ تَوَاضُعِ أَبْنَاءِ الْلُّغَةِ، وَأَعْقَادِ إِبْجَامِهِمْ عَلَى مَرْجِعٍ لُّغَوِيٍّ مُشَتَّرٍ يُسَمَّى النَّظَامَ الْلُّغَوِيَّ، فَيَكِيفُونَ إِلَيْهِ فِي التَّوَاصُلِ وَالْإِبَانَةِ<sup>(٢)</sup>.

أَمّا الشَّطَرُ الْمُخَصَّصُ مِنَ التَّوَاصُلِ فَهُوَ غَيْرُ الْلَّفْظِيِّ<sup>(٤)</sup>، وَلَعَلَّ أَعْرَفَ تَجْليَاتِهِ فِي هَذَا الدَّرْسِ الدَّلَائِيِّ لِغَةِ الْجَسْدِ، وَإِيمَاءَتِهِ، وَإِشَارَاتِهِ، وَالمَقْرَرُ الْمُسْتَحْكُمُ أَنَّ لِلتَّوَاصُلِ سُبْلًا وَآدَوَاتٍ مُتَبَايِنَةً، فَمِنْهَا مَا سَبَبِيلُ الْلَّفْظِ، وَهُوَ مَا تُعْوَرِفَ عَلَى أَنَّهُ "التَّوَاصُلُ الْلَّفْظِيِّ"، وَمِنْهَا مَا سَبَبِيلُ الْجَسْدِ، ذَلِكَ أَنَّ حَرْكَاتَ الْجَسْدِ وَمَا يَاتِفُ مِنْهُ مِنْ وَجْهٍ، وَيَدٍ، وَرَأْسٍ، وَعَيْنٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، دَلَائِلُ وَهُوَايَاتٍ إِلَى مَعَانٍ، وَقَرَائِنُ حَمَالَةٍ لِدِلَالَاتٍ، وَكَانَ الْجَسْدُ مَعِينٌ مُعْجمٌ مِنْ طَرَازٍ خَاصٍ مُؤْتَلِفٌ مِنْ موَادٍ مُعْجمَةٍ مَخْصُوصَةٍ يُسَمَّى الْجَوَارِحَ وَهَيَّئَاتِهَا<sup>(٥)</sup>.

أَمّا الْقُطْبُ الْثَالِثُ مِنْ أَقْطَابِ هَذَا الدَّرْسِ فَهُوَ الْحَدِيثُ النَّبِيُّ الشَّرِيفُ، وَهُوَ "مَا صَدَرَ عَنِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ قَوْلٍ، أَوْ فَعْلٍ، أَوْ تَقْرِيرٍ، أَوْ صِفَةٍ" ، وَلَعَلَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي الْحَدِيثِ، أَعْنِي التَّوَاصُلُ غَيْرُ الْلَّفْظِيِّ، شَطَرٌ مِنْهُ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تَتَسَبِّبُ إِلَى الْفِعْلِ، أَوِ التَّقْرِيرِ، أَوِ الصِّفَةِ كَمَا سَيَّأَتِي بَعْدًا، وَقَدِ ارْتَضَى الْبَاحِثُ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ مَوْلَانَا يَفِي إِلَيْهِ فِي الْغَالِبِ فِي تَمَثِيلِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَتَخْرِيجِ شَوَاهِدِهَا مَا اسْطَاعَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.



## مُقدِّمةٌ في لُغَةِ الْجَسَدِ

أَسْتَفْتَحُ هَذِهِ الْمُبَاخِثَةَ بِالْتَّعْرِيْجِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْثَالٍ مِنْ ثَلَاثَ قُرَحٍ، أَوْلُهَا التَّنْزِيلُ  
الْعَزِيزُ، وَهُوَ قَوْلُهُ – تَقَدَّسَ اسْمُهُ –

- **﴿فَأَشَارَتِ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَيِّبَا﴾**<sup>(٦)</sup>.
  - وَثَانِيَهَا الْحَدِيثُ النَّبُوِيُّ الشَّرِيفُ، وَهُوَ قَوْلُهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – "الْمُؤْمِنُ  
لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنْيَانِ الرَّصُوصِ يَشَدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَشَبَكَ بَيْنَ أَصْبَاعِهِ"<sup>(٧)</sup>.
  - وَثَالِثُهَا الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ، وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ:  
**تَقُولُ وَعَضَّتِ بِالْبَنَانِ فَضَخَّثَتِي وَأَنْتَ امْرُؤُ مَيْسُورُ أَمْرِكَ أَعْسَرُ**<sup>(٨)</sup>
- وَبِتَسْرِيْحِ الْخَاطِرِ فِي الْأَمْمَةِ الْمُتَقْدِمِ بِيَابِنِهَا يَصْطُحُ فِي الْفَهْمِ النَّظَرِ إِلَيْهَا مِنْ ثَلَاثَ  
وُجُوهٍ يَعْقِبُهَا تَقْرِيرٌ، وَأَوْلُهَا وَظِيفَيْهُ، وَثَانِيَهَا تَوَاصِلِيَّةً، وَثَالِثُهَا عَالَمَيْهُ.

أَمَّا أَوْلُهَا، وَهِيَ الْوُجْهَةُ الْوَظِيفِيَّةُ، فَحَرَكَاتُ "لُغَةِ الْجَسَدِ" تُقْسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:  
الْمُنْظَمَةُ الْمُرْقَمَةُ (Punctuation)، وَهِيَ شُتَّبَةُ فِي اسْتِلَاجِهِمْ بِضَرَبَاتِ الإِيقَاعِ، أَوْ  
عَصَا الْمُلْحَنِ (المايِسْتَروُ Batons)، وَهَذِهِ الْحَرَكَاتُ لَا تُضَيِّفُ مَعْنَى مَخْصُوصًا،  
وَلِكِنَّهَا مُؤَكِّدةٌ لَهُ وَمَعْرَزَةٌ، وَالْأُخْرَى الْحَرَكَاتُ التَّشْخِيصِيَّةُ (Iconic)، وَتُسَمَّى كَذَلِكَ  
بِالْكَاشِفَةِ (Deictic)، وَهِيَ الْحَوَامِلُ لِلْمَعْنَى، وَالْتَّوَاقِلُ لَهُ<sup>(٩)</sup>، وَالظَّاهِرُ أَنَّ التَّوَاصِلَ غَيْرَ  
اللَّفْظِيِّ فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ قَائِمًا عَلَى النَّوْعِ الثَّانِي مِنَ الْحَرَكَاتِ، أَمَّا فِي الْحَدِيثِ  
الْشَّرِيفِ فَكَانَ مِنَ النَّوْعِ الْأَوَّلِ، وَهِيَ الْحَرَكَاتُ الْمَعْرَزَةُ وَالْمُؤَكِّدةُ لِلْمَعْنَى.

وَأَمَّا ثَانِيَهَا، وَهِيَ الْوُجْهَةُ التَّوَاصِلِيَّةُ، فَقَدْ بَدَا أَنَّ ثَمَّ تَوَاصِلًا غَيْرَ لَفْظِيٍّ عَامَّةً،  
وَلُغَةُ الْجَسَدِ خَاصَّةً، وَقَدْ تَجَلَّتْ فِي الْأَمْمَةِ الْثَّلَاثَةِ، فَغَدَتْ إِشَارَةُ مَرِيمَ – عَلَيْهَا  
السَّلَامُ – نَاطِقاً مُؤَدِّيًّا إِلَى مَعْنَى بَلْ مَعَانٍ، وَقَدْ كَانَتْ سَبِيلًا مِنْ سُبِيلِ التَّوَاصِلِ الَّذِي  
يَنْعَدُ بِغَيْرِ سَبِيلٍ، وَلَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ نُشَبِّهَ الْمَعْنَى بِأَنَّ لَهُ روَافِدَ تُفْضِي إِلَيْهِ، كَالرَّافِدُ  
الصَّائِتُ الْقَائِمُ عَلَى "الْكَلَامِيَّاتِ"، وَالرَّافِدُ الصَّامِتُ الْقَائِمُ عَلَى "الصَّمَمِيَّاتِ"

وـ "الحركيات" ، وقد تُنقل الرسالة بآخرِهما، وقد يكون ذلك بتضافرِهما، وقد أُلفى باحث أن تأثير الرسالة الكلي ينقسم إلى ثلاثة أقسام، أولها ٧٪ من الرافد الصائب، و٨٪ مما يغتري الرافد الصائب كالتنعيم والنغمة ودرجة الصوت، و٥٥٪ من الرافد الصائب (١٠). وقد توصل آخر إلى مُستشفى من الرأي يقرب من هذا المتقدم، فقد ألمح إلى أنَّ الجزء الكلامي من المحادثة الوجهية تتألف في جزئها الأصغر من ٣٥٪ من الرافد الصائب لتأدية المعنى، وفي جزئها الأكبر من ٦٥٪ من الرافد الصائب القائم على اطراح الكلام، واسترفاد ما يقوم مقامه من حركات الجوارح والشمائل والإشارات (١١).

وأمّا ثالثها، وهي الوجهة العالمية، فإنَّ من الحركات الجسدية ما هو فطريٌّ غريزيٌّ، ومنها ما هو مكتسبٌ متعلّم، ولعلَّ أجيال مثالٍ على ذلك الأطفال والصم والبكم والعمي الذين تصدر عنهم إيماءاتٌ وإشاراتٌ جسديةٌ دون أن يكونوا قد رأوها فحاكُوها، كابتسامة في معنى الفرح، والبشرة في معنى الحزن، وتنطيط الوجه في معنى الغضب، وبعض تلک الحركات الجسدية الدالة على معانٍ قد تتحقق عند المرء بالاكتساب (١٢)، ومصدراً لاكتساب هما المحاكاة والتقليل، والذرية والمراس، ومن الحركات التي تتحقق مما تقدّم التحايا العسكرية، والغمز بطرف العين، وإشارات الصم والبكم المتعلمة (١٣)، ولعلَّ الشّعر المثبت مما ينتمي إلى الحركات العالمية الفطرية، فقد رأها "موريس" دالة على الخوف، أو القلق، أو ما يدور في فك هذين المعنين (١٤)، وقد رواها لنا عمر بن أبي ربيعة من قبل رواية حركة وسياقٍ فقال ما تقدّم بيانه.

أمّا التقرير الذي يأتي عقب ذلك كله فقائلٌ بأنَّ التواصل غير اللفظي مُبانيٌ للغة اللفظية، وأنَّ من تجلياته الفاقعة الدلالية "لغة الجسد"، فهي "تُخبر بطريقة ما عما لا يستطيع الكلام أنْ يُخْبِرُ به، إنَّ الناس تصدر عنهم بصورةٍ مميزةٍ إشاراتٍ وهم يتكلّمون، والتّأشير في الحقيقة ينْقُلُ أحياناً معلوماتٍ مهمّةٍ لا يحملها الكلام" (١٥).

## استِشْرَافُ الظَّاهِرَةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ

وَالْحَقُّ أَنَّ الْقَارِئَ لِحَدِيثِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرِدُ عَلَى أَحَادِيثَ نَبُوَيَّةٍ شَرِيفَةٍ فِيهَا حَرَكَاتٌ جَسَديَّةٌ مُلْمِحَةٌ حِينًا، وَمُصْرِحَةٌ حِينًا آخَرَ بِدِلَالَاتٍ، بَلْ قَدْ تَقْوَمُ تِلْكُمُ الْحَرَكَاتُ وَالْإِيمَاءَاتُ مَقَامٌ كَلْمَةٍ، أَوْ كَلِمَاتٍ، أَوْ جُمْلٍ، وَقَدْ تَكُونُ مِنَ الرَّوَايَاتِ الْمُعَزَّزَةِ لِلْمَعْنَى الْمُتَجَلِّي فِي هَيْنَةِ كَلَامٍ مَنْطَوِقٍ، وَقَدْ تَكُونُ فِي سِيَاقٍ رَابِعٍ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ تَجْلِيَّةِ الْمَعْنَى، أَوْ تَمْثِيلِهِ<sup>(١٦)</sup>، وَالْحَقُّ أَنَّنِي لَسْتُ أُرِيدُ أَنْ أَصَارِرَ شَيْئًا مِمَّا يَأْتِي عَقْبَ الْوُقُوفِ عَلَى دِلَالَاتِ الْجَوَارِحِ الشَّرِيفَةِ، فَفِيهَا مُسْتَغْنَىٰ وَمُسْتَأْنَفٌ لِمَا أُلْمَحُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.



## مِنْ هَيَّاتِ الْوَجْهِ وَدَلَالَاتِهِ

إِنَّ كَلِمَةَ "الْوَجْهِ" عَامَّةٌ تَسْتَغْرِقُ جَوَارِحَ أُخْرَى تُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَتَقْعُ في مُحِيطِهِ، وَلَذِكَ كُلُّهُ غَدَا الْوَجْهُ مَصْدِرًا أَصْيَالًا مِنْ مَصَابِرِ قِرَاءَةِ الضَّمَائِرِ الْمُسْتَتَرَةِ، وَالْمَعْانِي الْكَامِنَةِ فِي حَوَاشِي الطَّوَالِيَّةِ، وَدَلِيلًا صَادِقًا عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَفْضَى إِلَى تَقْرِيرِ ابْنِ جِنْيَيْ عَنْ أَحَدِ أَشْيَاخِهِ بِأَنَّهُ "لَا يُحِسِّنُ أَنْ يُكَلِّمُ إِنْسَانًا فِي الظُّلْمَةِ" (١٧). وَمُسْتَصْفِي الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ الْوَجْهَ - كَمَا هُوَ مُقْرَرٌ فِي عِلْمِ الْفِرَاسَةِ - أَكْمَلُ الْأَعْضَاءِ لِظُهُورِ الْآثَارِ النَّفْسَانِيَّةِ فِيهِ بِوْجِهِ أَنَّمَّا، وَلَأَنَّ الْوَجْهَ مَحْلُ الْحُسْنِ وَضَدُّهِ، وَبِهِمَا كَمَالُ الْجَسِدِ وَنَقْصُهُ، وَلَأَنَّ الْأَخْوَالَ الظَّاهِرَةَ فِي الْوَجْهِ قَوْيَّةُ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْبَاطِنَةِ؛ كَالْخَجْلِ، وَالْخَوْفِ، وَالْغَضْبِ، وَالْدَّرَحِ، وَالْكَابَةِ، فَإِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ لَوْنًا مَخْصُوصًا يَظْهَرُ فِي الْوَجْهِ دُونَ الْبَيْنِ (١٨)، "أَمَّا الْأَعْضَاءُ الْمُوْجَدَةُ فِي الْوَجْهِ بَعْدَ الرَّأْسِ، فَالْحَاجِبَانِ، وَالْعَيْنَانِ، وَالْجَبَهَةُ، وَالْأَنْفُ، وَالشَّفَتَانِ، وَالْأَسْنَانُ، وَالْذَّقْنُ، وَالْأَذْنَانِ، ثُمَّ الْعَنْقُ قَرِيبٌ مِنْ صِدْقِ الدَّلَالَةِ لِقَرِبِهِ مِنَ الْوَجْهِ" (١٩).

وَالْحَقُّ أَنَّنَا كَثِيرًا مَا نَفِيَ إِلَى الْوَجْهِ فِي التَّوَاصُلِ، وَنَعْدُهُ مُحْتَكِمًا رَئِيسًا فِي الْحُكْمِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَمَوْئِلًا أَمِينًا فِي قِرَاءَةِ الضَّمَائِرِ الْمُسْتَتَرَةِ، وَدَخَائِلِ النُّفُوسِ، إِنَّ ذَلِكَ يَتَجَلَّ لَنَا يَوْمِيًّا فِي الْبَيْتِ الْأَسْرَى، فَالْأَلْمُ مَعَ طَفْلَهَا، بَلْ مَعَ رَضِيعِهَا تَقِفُ عَلَى دِلَالَاتٍ لَا يُفْصِحُ عَنْهَا بِكَلَامِهِ، بَلْ بِإِيمَاءَاتِ وَجْهِهِ، وَفِي رَحْمَةِ الشَّارِعِ وَالسَّوقِ، فَالْتَّاجِرُ يُكِيِّفُ كَلَامَهُ مَعَ مُحِيطِهِ وَرَوَادِهِ مُعْتَدِلًا عَلَى إِيمَاءَاتِ وُجُوهِهِمْ أَحْيَانًا، وَكَانَ لِلنَّفْسِ مُعْجَمًا مُكْنُونًا تُقْرَأُ مَوَادُهُ عَلَى صَفَحةِ الْوَجْهِ (٢٠).

وَقَدْ وَقَفَ "بُورِيسْ كِيرُولِنيك" عِنْدَ مِثَالٍ شَائِقٍ عَمْلِيٌّ يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْوَجْهِ فِي تَوَاصِلِ الْحَيَوانَاتِ كُلُّ بِحَسْبِ جِنْسِهِ، فَقَدْ أَشَارَ فِي كِتَابِهِ "ذَاكِرَةُ قِرِيدِ، وَأَقْوَالِ رِجَالٍ" إِلَى أَنَّهُ تَمَّ مُتَابِعَةُ قِرِيدِ آسِيُويٍّ مُصَابٍ بِشَلَلٍ وَجَهِيٍّ، "وَهَذَا الْمَرَضُ الَّذِي هُوَ غَالِبًا حَمْوَيٌّ يُسَبِّبُ شَلَلَ عَضَالَاتِ الْوَجْهِ، وَإِزَالَةَ بَعْضِ التَّعَبِيرَاتِ، فَبَعْدَ بِضَعْفِهِ أَسَابِيَّةَ اِنْقِطَاعِ التَّوَاصِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحِيطِهِ مِنْ قُرُودٍ، وَرَاحَ أَمْثَالُهُ يُقْلُونَ مِنْ تَفْلِيَّتِهِ، بَلْ

يَتَجَبَّوْنَهُ، وَصَارَ مُشَاكِسًا عُدُوانِيًّا، مُنْقَطِعًا عَمَّنْ حَوْلَهُ، وَانْتَهَى حَالَتُهُ إِلَى التَّبَدِيلِ وَالْفَسَادِ" (٢١).

وَالْوَجْهُ - كَمَا يَقُولُ بِيس - يُسْتَعْمَلُ "أَكْثَرُ مِنْ أَيِّ جَارِّهِ أُخْرَى مِنْ جَوارِهِ الْجِسْمِ فِي إِلْحَافِ الْكَذِبِ وَتَغْطِيَتِهِ، فَنَحْنُ نَعْتَمِدُ عَلَى الْإِبْتِسَامِ، وَتَنْكِيسِ الرَّأْسِ، وَإِغْلَاقِ الْعَيْنَيْنِ مُحاوِلِيْنَ التَّسْتَرِ وَرَاءَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ سُوءَ الْحَظْ قَدْ يُواجِهُنَا، فَالإِشَارَاتُ الْجَسْدِيَّةُ الصَّادِرَةُ عَنَّا تَشَيِّ بِالْحَقِيقَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّوَافُقَ بَيْنِ إِيمَاءَتِ الْجِسْمِ وَعَلَامَاتِهِ مُتَعَدِّدٌ، فَدِرَاسَةُ الْوَجْهِ وَإِيمَاءَتِهِ فَنُّ قَائِمٌ بِرَأْسِهِ، وَقَدْ خَصَّصْتُ لَهُ فُسْحَةً ضِيقَةً فِي هَذَا الْكِتَابِ" (٢٢).

أَمَّا الْوَجْهُ الشَّرِيفُ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فَقَدْ كَانَ لَهُ حَظٌ وَافِرٌ فِي الظَّهُورِ وَالْإِبَانَةِ وَالْتَّوَاصِلِ، وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ بِسَبَبِيْنِ: أَوْلَاهُمَا الْوَصْفُ الْعَامُ الْقَائِمُ عَلَى التَّقْرِيرِ بِسُهْمَةِ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ فِي التَّوَاصِلِ، وَثَانِيَهُمَا الْوَصْفُ الْمُخَصَّصُ لِهَيْئَةِ الْوَجْهِ فِي سِيَاقِ مَا، أَمَّا أَمْثَلُهُ السَّبِيلُ الْأُولَى فَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي وَصْفِهِ الشَّرِيفِ: "كَانَ أَشَدَّ حِيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِنَّا رَأَى شَيْئًا يَكْرُهُ عَرْفَنَا فِي وَجْهِهِ" (٢٣)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: "فَرِئَيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ" (٢٤)، وَأَمَّا ثَانِيَهُ السَّبِيلِ فَمِنْهَا كَثِيرٌ فِي كُتُبِ الْأَحَادِيثِ، فَقَدْ كَانَ نَاطِقًا دَالِلًا فِيهِ تُعَيِّنُ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَانِي السَّتُّ الْعَالَمِيَّةِ (٢٥)، وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَجَلَّتْ فِي سِيَاقَاتٍ أُخْرَى مُخْتَلِفَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ دِلَالُهُ الْحُزْنِ، وَدِلَالُهُ الْغَضَبِ، وَدِلَالُهُ الْفَرَزِ، وَدِلَالُهُ الْإِنْكَارِ وَالْإِسْتِهْجَانِ، وَدِلَالُهُ الْجَوْعِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي قَدْ تَقَوْمُ فِي نَفْسِ النَّاظَارِ عِنْدَ رَؤْيَتِهِمْ ذَلِكَ الْوَجْهُ؛ فَنَحْنُ كَثِيرًا مَا نَسْتَعْمِلُ "الْوَجْهَ عَلَى نَحْنِ مُشَابِهٍ لِمَا نَتَكَلَّمُ" (٢٦).

لِنَرْجِعِ النَّظرِ فِي الْأَحَادِيثِ الْأَتِيَّةِ لِاسْتِشْرَافِ الدَّلَالَاتِ الَّتِي تُسْتَقِي مِنْهَا:

**الْوَجْهُ الْمُسْتَبِشُرُ الْفَرِحُ:**

وَهَذَا مَعْنَى وَرَدَ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَقَدْ ظَهَرَ بِجَلَاءِ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ "مَسْرُورًا تَبَرُّقًا

أَسَارِيرُ وَجْهِهِ" (٢٧)، وَقَدْ وَصَفَتْهُ عَائِشَةُ بِقُولِهَا: "إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ مِنْهُ ذَلِكَ" (٢٨).

وَمِنْ تَجْلِيلَاتِ هَذِهِ الْهَيْثَةِ الْمُفْضِيَّةِ إِلَى تَجْلِي تَلْكُ الدَّلَالَةِ أَنَّ الْمِقدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ الَّذِي دَعَا عَلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ لِلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُطَهَّرُنَا وَمُنْفَرًا لِِالْقِتَالِ: "لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلَا إِنَّا هُنَّا قَاعِدُونَ"، وَلَكُنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ، وَخَلْفَكَ، "فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ أَشْرَقَ وَجْهُهُ" (٢٩)، وَكَذَلِكَ حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْمُتَخَلِّفِ عَنِ الْقِتَالِ، فَقَدْ قَرَأَ هَذَا الْمَعْنَى فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيًّا لَهُ بِالْأَطْمِئْنَانِ، وَعَلَامَةُ بَنْ الرَّسُولِ قَدْ اسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ: "فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ أَسَارِيرُ وَجْهِهِ مِنَ السَّرُورِ، أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمْكَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ كَانَهُ قِطْعَةً قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ" (٣٠).

### الْوَجْهُ الْكَارِهُ الْمُذْكُورُ:

وَكَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ مِنْ حَوْلِهِ يَعْرِفُونَ سُرُورَهُ وَاسْتِشَارَهُ مِنْ وَجْهِهِ، فَكَذَلِكَ كَانُوا يَعْرِفُونَ كَرَاهَةَ أَمْرٍ مِنْ وَجْهِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ شُعْبَةَ الْمُتَقْدِمِ بِيَانِهِ آنِفًا، وَالْمُؤْرِرُ أَنَّهُ "إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ" (٣١)، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي أَحَادِيثَ شَتَّى، وَمِنْهَا حَدِيثُ عَائِشَةَ لَمَّا أَخْبَرْتُهُ بِيَانِهِ اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً فِيهَا تَصَاوِيرٍ، فَلَمَّا رَأَاهَا قَامَ عَلَى الْبَابِ، وَلَمْ يَدْخُلْ، فَرَأَتْ عَائِشَةَ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ كَرَاهِيَّةً لِمَا كَانَ مِنْهَا، وَقَدْ قَرَرَتْ ذَلِكَ الْمَعْنَى الَّذِي رَأَتْهُ فِي قُولِهَا: "فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةَ" (٣٢)، فَتَوَاصَلَتْ مَعَهُ مُذْعِنَةً لِلْغَةِ الصَّامِتَةِ وَدِلَالَاتِهَا الَّتِي تَبَدَّلُ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، مُجِيبَةً بِالْلُّغَةِ الصَّامِتَةِ الْمُسْتَدِرِكَةِ قائلَةً: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ" (٣٣)، وَاللَّافِتُ لِلْخَاطِرِ أَنَّ إِيمَاءَهُ وَجْهُ الرَّسُولِ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَيْسَ بِقُولٍ فِي هَذَا السَّيَاقِ كَانَتْ مَصْدِرًا مِنْ مَصَادِرِ التَّتَشْرِيعِ لَنَا بَعْدًا، وَلِعَائِشَةَ قَبْلًا.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا، أَوْ سَمَعَ رِيحًا، أَوْ عُرِفَ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَّةُ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ مَعْنَى قَدْ يُثْبِرُ فِي النَّفْسِ اسْتِغْرَابًا، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَقَدْ التَّقَتَ

إِلَى ذَلِكَ عَائِشَةُ، فَسَأَلَتْهُ فِي ذَلِكَ قَائِلَةً: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا بِرَجَاءِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطْرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَّةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنُنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ...".<sup>(٣٤)</sup>

وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْوَجْهِ الْكَارِهِ وَدِلَالَتِهِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، "فَكَانَهُ تَغْيِيرَ وَجْهِهِ، كَانَهُ كَرِهَ ذَلِكَ"، فَقَالَتْ مُسْتَدِرِكَةً: إِنَّهُ أَخِي، فَرَدَ مُجَلِّيًا عِلَّةَ الْمَغْنِي الَّذِي رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَهُوَ كَرَاهَةُ مَا كَانَ قَدْ حَدَّرَ مِنْهَا: "انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانَكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَا عَنِ الْمَجَاعَةِ".<sup>(٣٥)</sup>

### الْوَجْهُ الْمُغَضَّبُ:

وَقَدْ عَبَرَ عَنْ هَذَا الْمَغْنِي فِي الْأَحَادِيثِ النَّبُوَيَّةِ بِغَيْرِ لَفْظٍ، وَمِنْ ذَلِكَ:

- "تَمَعَّرَ وَجْهُهُ".<sup>(٣٦)</sup>
- "اَحْمَرَ وَجْهُهُ".<sup>(٣٧)</sup>
- "تَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".<sup>(٣٨)</sup>
- "اَحْمَرَتْ وَجْنَتَاهُ".<sup>(٣٩)</sup>
- "رُؤِيَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ".<sup>(٤٠)</sup>
- "فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرَفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ".<sup>(٤١)</sup>
- "حَتَّى رَأَيْتَ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ".<sup>(٤٢)</sup>

وَالظَّاهِرُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ هَيْنَةَ الْغَضَبِ كَانَتْ تُقْرَأُ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَمِنْ أَمْثَلِهَا أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُ عَنِ الْلُّقْطَةِ مَا حُكِّمَهَا، فَأَجَابَهُ، فَأَلْأَخَعَ عَلَيْهِ السَّائِلُ وَأَنْقَلَ حَتَّى سَأَلَهُ عَنِ الْلُّقْطَةِ الْإِبْلِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَظَهَرَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ "حَتَّى اَحْمَرَتْ وَجْنَتَاهُ"، أَوْ قَالَ: "اَحْمَرَ وَجْهُهُ"، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: "فَتَمَعَّرَ وَجْهُهُ".<sup>(٤٣)</sup>، فَقَالَ مُسْتَدِرِكًا: "مَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاوَهَا، وَحِذَاوَهَا، تَرِدُ الْمَاءَ، وَتَرْعِي الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يُلْقَاهَا رَبُّهَا".<sup>(٤٤)</sup>

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ الْقِسْمَةِ، فَقَدْ قَالَ رَجُلٌ مُعْتَرِضاً عَلَى قِسْمَةِ النَّبِيِّ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إِنَّ هَذِهِ لَقْسَمَةً مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَرَحُمُ اللَّهُ أخِي مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ أكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ" <sup>(٤٥)</sup>.

وَمِنْ أَمْثَالِ قِرَاءَةِ مَعْنَى الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ أَنَّ حَكْمَ الْرَّبِّيْرِ بِالسَّقَلِيَّةِ أَوْلَأً، فَقَالَ: اسْقِي يَا زُبِّيرُ، ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ مُعْتَرِضاً مُنَاكِفًا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ كَانَ أَبْنَى عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ غَضَبًا لِمَا كَانَ مِنْهُ، فَنَزَلَ قَوْلُ الْحَقِّ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَحِدُّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسِّلُمُوا تَسْلِيمًا﴾ <sup>(٤٦)</sup>.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى عَلَيِّ الْحُلَّةِ سِيرَاءَ، فَلَبِسَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، "فَرَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنَ نِسَائِي" <sup>(٤٧)</sup>، وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَجْهَهُ الشَّرِيفِ فِي ذَلِكَ السَّيِّاقِ مَصْدُرُ تَشْرِيعٍ، وَقَدْ ظَهَرَ فِيهِ مَعْنَى "اطْرِحْهَا، فَمَا أَهْدِيْتُهَا لِتَلْبِسَهَا"، فَفِي الْحَدِيثِ إِذَا دِلَالَتِنِ: إِحْدَاهُمَا تَوَاصِلِيَّةٌ تُنَسَّبُ إِلَى مِضْمَارِ الصَّمْتِيَّاتِ، وَأُخْرَى فِقْهِيَّةٌ تُقْتَبِسُ مِنْ غَضِبِهِ الَّذِي ظَهَرَ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، وَهِيَ قَائِلَةٌ بِحِرَمَةِ الْعِلْلَةِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْغَضَبِ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ.

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَبَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرُضُ سِلْعَتَهُ أُغْطِيَ بِهَا شَيئًا كَرِهَهُ، فَقَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ، فَلَطَمَهُ رَجُلٌ، فَذَهَبَ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شَاكِيًّا قَائِلًا: يَا أَبَا الْقَالِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، فَمَا بِالْفُلَانِ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ، فَذَكَرَهُ، فَغَضِبَ النَّبِيُّ حَتَّى رُئِيَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: لَا تُفْضِلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ <sup>(٤٨)</sup>. وَلَيْسَ يُخْفَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثُ الْكَلَامِيُّ يُسْتَقِي مِنْهُ دِلَالَتِنِ: إِحْدَاهُمَا تَوَاصِلِيَّةٌ، وَهِيَ تَحْقِقُ مَعْنَى الْغَضَبِ الَّذِي رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، وَثَانِيَهُمَا فِقْهِيَّةُ تَشْرِيعِيَّةٌ، ذَلِكَ أَنَّ لِلْيَهُودِيِّ ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَأَنَّ ثُمَّ نَهِيًّا فِي الْمُفَاضِلَةِ بَيْنَ الرَّسُلِ.

وَالْمُتُبَصِّرُ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ يَجِدُ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَثِيرًا مَا كَانُوا يَلْتَفِتُونَ إِلَى دِلَالَاتِ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ فِي الْإِبَانَةِ وَالْتَّوَاصِلِ، فَكَانُوا يُكِيِّفُونَ حَدِيثَهُمْ، وَتَخَاطِبُهُمْ،

وَتَوَاصُلُهُمْ، مُعْتَدِلِينَ عَلَى الْمَعْنَى الْمُتَبَعِّثِ مِنْهُ، وَمِنْ ذَلِكَ عُمُرُ بْنُ الْخَطَّابِ، "فَلَمَّا رَأَى عُمُرٌ مَا فِي وَجْهِهِ" أَوْقَفَ الْحَوَارَ تَدَبَّراً وَتَلَطَّفَا قَائِلاً: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَنْتَوْبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ" (٤٩).

وَكَمَا كَانَ أَصْحَابُهُ يَقْتَنِصُونَ الْمَعْنَى، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى رُسُومِ الْحَرَكَاتِ الْوَجْهِيَّةِ فِي التَّوَاصِلِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ مَعَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ فِرَاسَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْمَعْنَى الْمُتَائِتَةِ مِنْ وَجْهِ مَنْ يَقْفُضُ وَجَاهَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ حَدِيثُ عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عِنْدَمَا اغْتَرَاهُ غَضْبٌ وَإِنْكَارٌ لِمَا قَامَ بِهِ حَمْزَةُ عَمْهُ، فَقَدْ رَأَى أَنَّ شَارِفَيْهِ قَدْ أَجْبَثَ أَسْنِمَتُهُمَا، وَبَتَرَتْ خَوَاصِرُهُمَا، وَأَخْدَى مِنْ أَكْبَادِهِمَا، فَلَمْ يَمِلِكْ عَيْنَيْهِ حِينَ رَأَى ذَلِكَ الْمَذَنَظَرَ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيَبْيَثُهُ هَمَّهُ، "فَعَرَفَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ" (٥٠)، فَبَاتَرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْمُسَائِلَةِ لِمَا رَأَى فِي وَجْهِهِ مِنْ جَزْعٍ وَإِنْكَارٍ بِقُولِهِ: "مَا لَكَ؟". وَكَذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي سَيَّأَتِي عَلَيْهِ بَيَانٌ بَعْدًا، وَهُوَ إِبْصَارٌ فِي وَجْهِ أَبِي هُرَيْرَةَ الْجَوَعِ (٥١).

### الْوَجْهُ الدَّالُّ عَلَى الْجَوَعِ:

لَعَلَّ مِنْ فُضُولِ الْقَوْلِ إِنْ مِنْ يَتَمَلَّكُ الْجَوَعُ قَدْ يُفْضِي بِهِ إِلَى التَّقْرِيرِ عَنْ حَالِهِ بِلَفْظِهِ، وَقَدْ تَشَيَّعَ عَلَيْهِمْ مَخْصُوصَةٌ تُنَسَّبُ إِلَى مَبْحِثِ "الصَّمَتِيَّاتِ" بِحَالِهِ، فَتَكُونُ فِي إِبَانَتِهَا كَاللَّفْظِ، بِلْ أَبْلَغَ فِي مَوَاضِعِ أَخْرَى، وَقَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ "أَبْصَرَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْجَوَعَ فَدَعَاهُ" (٥٢)، وَهُوَ أَنْصَارِيٌّ كَانَ لَهُ غُلَامٌ لَحَامٌ، فَقَالَ لَهُ: اصْنُعْ لِي طَعَامًا خَمْسَةٍ لَعَلَّيُّ أَدْعُوكَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَامِسَ خَمْسَةٍ.

وَالْحَقُّ أَنَّ تَبَصَّرَ الْأَنْصَارِيٌّ لِهَا الْمَعْنَى فِي وَجْهِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ كَانَ مِثْلُهُ مِنَ الرَّسُولِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَدْ تَفَرَّسَ فِي وَجْهِهِ الْجَوَعُ، فَدَعَاهُ فَأَطْعَمَهُ، وَقَدْ أَلْحَ أَبْوَابُهُ أَبْوَابُهُ - كَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ - إِلَى أَنَّهُ كَانَ جَائِعًا يَعْتَمِدُ بِكَبِدهِ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجَوَعِ، وَيَشَدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ، فَلَقَدْ قَعَدَ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي مِنْهُ يَخْرُجُونَ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مُعْمَلِيَّةٍ عَنْ حَالِهِ، عَلَّهُ

يَسْتَجِيبُ، وَمَا سَأَلَهُ إِلَّا لِيَسْتَبِعَهُ، فَلَمْ يَفْعُلْ، وَكَذَلِكَ عَمَرُ، "ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي" <sup>(٥٣)</sup>.

### الوَجْهُ الْمُسْتَهْجِنُ الْمُسْتَغْتَبُ:

وَقَدْ تَجَلَّتْ تِلْكُ الدِّلَالَةُ لِمَا أَهْدَى أَهْدُمْ إِلَى الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِمَارًا وَحَشِيقًا، فَرَدَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَدِيَّتَهُ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، رَأَى فِي وَجْهِ الْمُهْدِيِّ مَعْنَى مُوْمِئًا إِلَى الْإِسْتِهْجَانِ وَالْإِسْتِغْرَابِ، فَاسْتَدَرَكَ عَلَيْهِ بُبَيَانٍ شَرِيفٍ نَاطِقٍ: "أَمَا إِنَّا لَمْ نَرَدْهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَا حُرُمٌ" <sup>(٥٤)</sup>.

### الوَجْهُ الْفَرَزُ الْخَائِفُ:

وَتِلْكَ هَيْئَةً مَعْرُوفَةً لَنَا بِهَا عَهْدُ وَالْفُّ حَمِيمَانِ، فَالْخَائِفُ وَجْهُهُ مُنْبَئٌ عَنْ حَالِهِ، نَاطِقٌ بِمَا يُكَابِدُهُ وَيَخَالِجُهُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يَوْمَ حَدَّثُهُمْ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَخْوَالِهَا وَأَهْوَالِهَا، وَكَيْفَ أَنَّ الْحَامِلَ تَضَعُ حَمْلَهَا، وَأَنَّ الْوَلِيدَ يَشَبِّهُ، وَأَنَّ النَّاسَ يُرُونَ كَانِهِمْ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ "حَتَّى تَغَيِّرُ وُجُوهُهُمْ" <sup>(٥٥)</sup>. وَمَنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ حَدِيثُ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَيْقَظَ مِنَ النَّوْمِ مُحَمَّرًا وَجْهُهُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ افْتَرَبَ، فُتَحَ رَدْمُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ... <sup>(٥٦)</sup>.

وَمَنْ مِثْلِ وُرُودِ تِلْكُ الْمَعْانِي فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ إِنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ عِياضٍ اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُ بِهَا فَأَعْارَتْهُ، فَأَخَذَ لَهَا ابْنًا وَهِيَ غَافِلَةٌ عَنْهُ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ، وَالْمُوْسَى بِيدهِ، فَوَهَمَتْ إِذْ ظَنَّتْ أَنَّهُ يُرِيدُ نَبْحَهُ، "فَفَزَعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتَلَهُ، مَا كُنْتُ لَأَفْعَلَ ذَلِكَ" <sup>(٥٧)</sup>.

### الوَجْهُ الْمُشِيْخُ الْمُتَعَوِّذُ:

يَشَيْعُ فِي كَلَامِنَا قَوْلُنَا "أَشَاحَ بِوْجَهِهِ"، وَهَذَا وَصْفٌ لِحَرَكَةٍ جَسَدِيَّةٍ تُبَنِّيُّ عَنِ الْإِعْرَاضِ وَالْتَّنْحِيَّةِ، وَفِي صَفَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ إِذَا غَضِبَ أَغْرَضَ وَأَشَاحَ <sup>(٥٨)</sup>، وَقَدْ صَدَرَتْ هَذِهِ الْحَرَكَةُ عَنِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

عندما ذكر النار في معرض حديثه عن اتقائهما، واللفتة المُعْجِبة حقاً أنه كان في حديثه ذلك يوصي باتقاء النار، فعن عدي بن حاتم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ذكر النار، فأشاح بوجهه، فتعود منها ثم قال: أتقوا النار ولو بشق تمرة<sup>(٥٩)</sup>، فكان ذلك تلهم الوصيّة مُرايّفة لإشاحة وجهه عن ذكرها، فتعود من النار قوله قولاً وعملاً في ذلك السياق، فاما بالقول فهو ظاهر، وأما بالعمل فإشارة الوجه الشريف، ولعل هذا يعزز مقوله أهل هذا الدرس الذاهب إلى أن "الإشارة مبنية أساساً على المشابهة التّشخيصية"<sup>(٦٠)</sup>.

### الوجهُ الطَّلاقُ البَسَامُ:

هيئة وجهية مندوب إتيانها، مأجور آتها، وقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يلُوح عليها، فتجلى في سيرته وشمائله الرَّكبة قولاً لفظياً، و عملاً حركياً، أما تجليها قولاً فقد كان في قوله: "وتبسمك في وجه أخيك صدقة"<sup>(٦١)</sup>، وأما تجليها عملاً ودياناً فما ورد من قول أحدهم: "ما حجبني النبي - صلى الله عليه وسلم - ممن أسلمت، ولا رأني إلا ابتسم في وجهي"<sup>(٦٢)</sup>، وقد التفت الجاحظ إلى هذا، "لأنَّ العربَ تجعلُ الحديثَ، والبساطَ، والتَّائِيسَ، والتَّلْقَى بالبِشَرِّ مِنْ حُقُوقِ الْقَرِىءِ، وَمِنْ تمامِ الإِكْرَامِ"<sup>(٦٣)</sup>، وقد يمأدو بالعرب:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحلي  
ويخصب عندي والمحل جديب  
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى  
ولكنّما وجه الكريم خصيبي<sup>(٦٤)</sup>

وما من شَكٌ أنها حركة تفعل فعلها في بناء المجتمع، وتلطف أهله، وتعاطفهم  
وتكاتفهم، وقد كان ذلك شأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى مع المُتَخَلِّفينَ  
الذين طفقو يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين، فقبل منهم علانيتهم،  
وابيائهم، واستغفر لهم، فلما جاء كعب بن مالك، وهو واحد منهم، سلم عليه، فتبسم  
النبي - صلى الله عليه وسلم - "ابتسامة المغضوب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى  
خلست بين يديه، فقال ما خلفك...<sup>(٦٥)</sup>، حقاً أنه خلق عظيم، ونبيٌّ كريم، ومعلمٌ أمينٌ،  
بالمؤمنين رؤوف رحيم، لقد كان شأنه مع الذين رضوا بأن يكونوا مع القواعد

وَالخَوَالِفِ شَأْنَ الْمُغَضِّبِ الْمُبَتَّسِمِ، صَاحِبِ الْعِتَابِ الرَّقِيقِ الرَّاقِي، فَكَانَ أَنْمَوْذَجًا فِي الدَّعْوَةِ، وَالسُّلُوكِ، وَالتَّوَاصِلِ.

لَعَلَّ الْحَدِيثَ عَنْ دِلَالَاتِ الْوَجْهِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ عَامَّةً، وَدِلَالَةِ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ خَاصَّةً، إِنْ مُرْسَلًا، وَإِنْ مُسْتَقْبِلًا، يَكْثُرُ إِنْ تَتَبَعَّثُهُ، وَقَدْ أُورْدُتْ أَمْثَلَةً تَبَثُّ عَلَى الغَرْضِ الَّذِي قَصَدَهُ، وَتَبَقَّى هَذِهِ الْمُبَاحَثَةُ الْفَرَعِيَّةُ مُحْتَاجَةً إِلَى قُفْلَةٍ مُؤْتَلَفَةٍ مِنْ شِقَّيْنِ:

أَوْلُهُما: أَهْمَيَّةُ اسْتِشْرَافِ سِيَاقِ دِلَالَةِ الْوَجْهِ الشَّرِيفِ، فَإِنْسَلَاحُ الْحَرَكَةِ مِنْ سِيَاقِهَا مَجْلِبَةً لِتَعْدِي الْمَعَانِي الَّتِي تَقْعُدُ تَحْتَهَا، وَلَا نَتِسَابِهَا إِلَى ظَاهِرَةِ الْمُشَتَّكِ الْخَرَكِيِّ، فَأَحْمِرَارُ الْوَجْهِ مَثَلًاً قَدْ يَكُونُ مُنْبَثِتًا عَنِ الْخَجْلِ، أَوِ الْخَوْفِ، أَوِ الْمَرْضِ، وَاسْتِرْفَادُ السِّيَاقِ يُعِينُ الْمَغْنِي الْمُرَادَ مِنْ تَلْكُمِ الْهَيْئَةِ الْخَرَكِيَّةِ عَلَى وَجْهِ التَّعْيَينِ، وَلَذِكَّ كَانَ أَحْمِرَارُ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ فِي سِيَاقِ ذَا دِلَالَةِ عَلَى الْفَرَعِ، وَفِي آخَرَ ذَا دِلَالَةِ عَلَى الْغَضَبِ، وَفِي ثَالِثِ عَلَى الْإِنْكَارِ، وَهَكُنَا بِوَالِيْكِ.

وَثَانِيَهُما أَنَّ وَجْهَهُ الشَّرِيفِ مَحْدُورٌ مِنْ مَصَابِرِ التَّشْرِيعِ، فَرَؤْيَيُّ الْغَضَبِ مَثَلًاً فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ قَدْ تَؤْذِنُ بِالْقُولِ إِنَّ مَا كَانَ سَبِيلًا بِاعْتِدَانًا عَلَى ذَلِكَ مُحَرَّمٌ يُؤْثِمُ فَاعِلَّهُ، أَوْ مَكْرُوهٌ يُنْدَبُ تَرْكُهُ، وَالْأَمْرُ بِالْمُضَدِّ فِي دِلَالَةِ الْفَرَعِ أَوِ الْقَبُولِ.

وَبَعْدُ، فَهَا نَحْنُ أَوْلَاءِ نَقْفُ أَمَامَ وَجْهِ شَرِيفٍ نَاطِقٍ مُبِينٍ حَمَالٍ لِدِلَالَاتِ لَسْتُ أَزْعُمُ أَنَّنِي أَتَيْتُ عَلَيْهَا كُلُّهَا حَتَّى تَفَرَّسْتُهَا، وَلَكِنَّنِي أُورْدُتْ أَمْثَلَةً تَدُلُّ عَلَى الغَرْضِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ عُنْوانُ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ، وَهُوَ التَّوَاصُلُ غَيْرُ الْلَّفْظِيِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَقَدْ بَدَا أَنَّ الْوَجْهَ نَوْسُهَمَةٌ ظَاهِرٌ فِي تَحْقِيقِ نَلْكُمِ التَّوَاصُلِ.



## مِنْ هَيَّاتِ الرَّأْسِ وَدِلَالَاتِهَا

من المقرر المستحكم أن الرأس "صومعة الدين، وجامع الحواس الخمس الظاهرة، والسبعين الصفات الباطنة، ومنه تتجلي الآيات، وتتراءى العلامات، وتصدق الأمارات"<sup>(٦٦)</sup>، وفي "علم الحركة" يشار إلى هيئات الرأس مختلفة، وهي كواشف لحالات نفسية، وأهمها ثلاثة: الرأس المرفوع، والرأس الخفيض، والرأس المنحنى إلى جانب، أما المرفوع فمن دلالاته التأمل في السماء أو أمر، وقد يدل على الكبر، أو غير ذلك، والرأس الخفيض يدل في الغالب على الحجل، أو الخوف، أو الخضوع، أو الاستسلام، أو الجبن، أما المنحنى إلى جانب ففيه أحياناً دعوة إلى الفتنة، أو الغواية، أو الملاطفة كما تفعل الأمة مع ولديها، أو الولد مع أممه<sup>(٦٧)</sup>، وقد كان للرأس حضور في الحديث النبوي الشريف، وسُهمت ظاهرة في التوأصل والإبانة، وقد تجلّى في هيئات مُتباعدة سألي على تسع حمّالات لتسع دلالات:

### أولها - الرأس المتكلّم القائل "نعم":

وقد وقع ذلك في حديث وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فقد دخل عبد الرحمن بن أبي بكر على عائشة أم المؤمنين، وبيه سواك، وعائشة مُسندة رسول الله، فنظر النبي إلى السواك نظر الطالب المستعطف، فقام في نفس عائشة معنى مفاده أنه يريد السواك، فبادرته بالسؤال قائلاً: أحذه لك؟ فأجاب الرسول معتيناً على حركته رئيس الشريف المفضية إلى معنى القبول، والقابلة بهز الرأس إلى الأسفل: "نعم" نظراً لما كان يعالجه من شدّة، ويُقاسيه من آلم، فناولته السواك، فاشتدَّ عليه مرض الموت، فقالت مستدركةً: ألينه لك؟ فقال برأسي الشريف ثانيةً أن نعم<sup>(٦٨)</sup>.

يظهر أننا نقف عند حدٍ تواصليٌ بين قطبين اثنين اعتمد فيه القطب الأول في إياته وتواصله على المجرى الصائم الكلامي، وأعتمد فيه الثاني - صلى الله عليه وسلم - على المجرى الصامت الحركي، فانعقد التواصل، واقتصرت الرسالة، وكان

لِلرَّأْسِ الشَّرِيفِ فَضْلٌ ظَاهِرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَكَانَ سَبِيلًا اسْتِدَالَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالْحِضْدَى مِمَّا تَقَدَّمَ، كَأَنْ يَكُونَ رَأْسُ مَنْ يَقِفُ وَجَاهَ الرَّسُولِ نَاطِقًا مُتَكَلِّمًا، وَسَبِيلًا مُؤْدِيًّا إِلَى التَّوَاصِلِ وَالإِبَانَةِ وَالاسْتِدَالَ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي يُعِينُهُ قُطْبُ الْحَدِيثِ الْكَلَامِيُّ الْآخِرُ، وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَفِيهِ أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَّةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ، فَجَيَءَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ وَبِهَا رَمَقٌ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ مُسْتَفْهِمًا قَائِلًا: فُلَانُ قَتَلَكِ؟ فَاسْتَرْفَدَتْ مِنْ حَرْكَةِ رَأْسِهَا الدَّلَالَةُ وَالإِجَابَةُ نَظَرًا لِضَعْفِ حَالِهَا، وَقَلَّةِ حِيلَتِهَا فِي مَقَامِهَا ذَلِكَ، رَافِعَةً رَأْسَهَا إِلَى الْأَعْلَى قَائِلَةً بِهِ "لَا"، فَأَعْوَدَ عَلَيْهَا سُؤَالَهُ الشَّرِيفَ قَائِلًا: فُلَانُ قَتَلَكِ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا إِلَى الْأَعْلَى أَنَّ لَا، فَقَالَ فِي الْثَالِثَةِ: فُلَانُ قَتَلَكِ؟ فَخَفَضَتْ رَأْسَهَا إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَى صِحَّةِ مَا نَكَرَ، فَدَعَا بِهِ الرَّسُولُ، فَلَمْ يَزُلْ حَتَّى اعْتَرَفَ، فَرُضِّلَ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ<sup>(٦٩)</sup>.

وَالظَّاهِرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَقَدَّمِ بِيَانِهِ أَنَّ الْمُرْسَلَ قَدْ فَاءَ إِلَى الْمَرْجِعِ الْلُّغُوِيِّ الْمُشْتَرَكِ فِي التَّوَاصِلِ، فَكَانَتْ سَبِيلُهُ إِلَى ذَلِكَ الْكَلَامِ الْمَنْطُوقَ، وَأَنَّ الْمُسْتَقْبِلَ فَهُمْ مَقْصِدُهُ وَرُسُومُ كَلَامِهِ، فَكَانَتِ اسْتِجَابَتُهُ مَبْنِيَّةً عَلَى الْلُّغَةِ الصَّامِتَةِ، فَانْعَقَدَ التَّوَاصِلُ، وَقَالَ الرَّأْسُ بِحَرْكَتَيْنِ مُوْمَئِتَيْنِ "لَا"، وَقَالَ فِي الْثَالِثَةِ "نَعَمْ"، أَمَّا "لَا" فَكَانَتْ هَيَّئَتُهَا رَفَعُ الرَّأْسِ إِلَى أَعْلَى، وَأَمَّا "نَعَمْ" فَكَانَ الدَّالُّ عَلَيْهَا خَفْضُ الرَّأْسِ إِلَى الْأَسْفَلِ.

### ثانيها - الرَّأْسُ الْخَفِيْضُ الرَّافِضُ الْمُعْتَدِرُ:

وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى لَمَّا جَاءَتِ امْرَأَةُ النَّبِيِّ فَقَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَهْبِطُ لَكَ نَفْسِي"، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَصَعَدَ النَّظَرُ، ثُمَّ طَأْطَأَ الرَّسُولُ اللَّهِ رَأْسَهُ<sup>(٧٠)</sup>، وَكَانَ فِي تِلْكَ الطَّأْطَأَةِ إِيمَاءُ رَفْضٍ، وَانْتِفَاءُ قَبُولٍ، وَمَلَّ قَرَأْتُ تِلْكَ الْمَرَأَةَ هَذَا الْمَعْنَى فِي حَرْكَةِ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ، وَمَلَّ رَأَتْ أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ فِيهَا شَيْئًا، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، انْتَشَرَ وَجَلَسَتْ، فَقَامَ آخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ لَكَ بِهَا حَاجَةٌ فَزُوْجِنِيهَا"<sup>(٧١)</sup>، وَمُسْتَصْفِي الْقَوْلِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ إِطْرَاقَ الرَّسُولِ وَطَأْطَأَتَهُ لِرَأْسِهِ الشَّرِيفِ كَانَتَا جَوابًا صَامِتًا غَيْرَ لَفْظِيٍّ، مُلْمِحًا بِالرَّفْضِ وَالْمُعْتَدَرِ.

### ثالثاً - الرَّأْسُ الْمُسْتَنْكِرُ الْمُسْتَهْجِنُ:

وَقَدْ يَكُونُ لِلرَّأْسِ هَيْئَةً حَرَكِيَّةً تُوْمَئُ فِي سِيَاقِهَا إِلَى دِلَالَةِ الْاسْتِنْكَارِ، أَوْ الْاسْتِهْجَانِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْمَغْنِى لَا يَتَعْيَنُ بِالرَّأْسِ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا بِجُمْلَةِ مِنَ الْجَوَارِحِ الَّتِي يَتَصَدِّرُهَا الرَّأْسُ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو مُوسَى فَقَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَخْدَنَا يُقَاتَلُ عَحْبَابًا، وَيُقَاتَلُ حَمِيَّةً"، فَلَمْ يَرْقُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ مُسْتَدِرِكًا مُسْتَهْجِنًا لِمَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْهُ، مُعَقَّبًا بِقَوْلِهِ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْغَلِيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".<sup>(٧٢)</sup>

### رابعاً - الرَّأْسُ الْمُشَيرُ الْمُعِينُ لِلْجَهَةِ، وَالْمُجَلِّي لِلْحَالِ:

وَفِي ثَيْنِي اسْتِشْرَافِ هَيَّئَاتِ الرَّأْسِ وَبِلَالَاتِهَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بَدَا أَنَّ الرَّأْسَ كَانَ أَدَاءً تَوَاصِلٍ وَبَابَاتِهِ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي يَحْرُمُ فِيهَا الْكَلَامُ، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، عَدَ الْمُرْسُلُ عَنِ التَّوَاصِلِ بِالْمُجْرِي الصَّائِتِ الْكَلَامِيِّ إِلَى الْمُجْرِي الصَّامِتِ الْحَرَكِيِّ، مُسْتَعِنًا فِي ذَلِكَ عَلَى أَدَاءِ مَقْصُودِهِ، وَمُتَحَلِّلًا مِنْ حَرْجِ الْكَلَامِ فِي ثَيْنِي الصَّلَاةِ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَتْهُ أَسْمَاءُ لَمَّا أَتَتْ عَائِشَةَ فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصْلُونَ، وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصْلِي فِي وَقْتٍ لَمْ يُتَعَارِفْ عَلَى أَنَّهُ وَقْتُ صَلَاةٍ مَفْرُوضَةٍ، فَعَجَبَتْ مِنَ الْأَمْرِ عَجَبًا أَنْبَنِي عَلَيْهِ مُسَائِلَةً كَلَامِيَّةً قَالَتْ فِيهَا لِعَائِشَةَ الْمُصْلِيَّةِ: "مَا لِلنَّاسِ؟"، فَأَشَارَتْ عَائِشَةً بِرَأْسِهَا إِلَى السَّمَاءِ<sup>(٧٣)</sup> مُلْمِحَةً إِلَى الشَّمْسِ كُسُوفِهَا، فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: آيَةٌ، فَقَالَتْ بِرَأْسِهَا مُجْبِيَّةً مُتَوَاصِلَةً تَوَاصِلًا غَيْرَ لَفْظِيٍّ ثَانِيَةً: نَعَمْ<sup>(٧٤)</sup>.

### خامسها - الرَّأْسُ الرَّاكِعُ وَالسَّاجِدُ:

وَهَذِهِ هَيْئَةٌ أُخْرَى مِنْ هَيَّئَاتِ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ الَّتِي اهْتَدَى لِمَعْنَاهَا أَصْحَابُهُ، فَفِي سَفَرِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُصْلِي عَلَى ظَهَرِ رَاحْلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ، مُوْمِئًا بِرَأْسِهِ، مُقْيِمًا تَلْكُمُ الْحَرَكَةَ مَقَامَ رُكُوعِهِ وَسَجْدَتِهِ فِي صَلَاتِهِ<sup>(٧٥)</sup>.

## سادِسُها - الرَّأْسُ الْحَزِينُ الْمُنْكَسُ:

وَهِذِهِ هَيْئَةٌ أُخْرَى مِنْ هَيْئَاتِ الرَّأْسِ وَأَوْضَاعِهِ الْمُنْبَثِتَةُ عَنْ حَالٍ نَفْسِيَّةٍ لَمْ يَأْتِيهَا، وَلَهَا مَقَاماتٌ مِنْهَا مَقَامُ الْحُرْنِ، وَمَقَامُ الدَّدَمَةِ، وَمَقَامُ الْخَزِيِّ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ - تَقْدِيسَ اسْمُهُ - : "وَلَوْ تَرَى إِذَ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عَنْ دِرَبِهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارِجُغُنَا..."<sup>(٧٦)</sup>، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ افْتَقَدَ ثَابَتَ بْنَ فَيْسٍ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنَا أَطْلَمُ عِلْمَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَاهُ، فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، "مُنْكَسًا" رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ شَرُّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، وَقَدْ حَيْطَ عَمْلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَخْبَرَ النَّبِيِّ بِحَالِهِ وَهِيَئَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ بِالْبُشْرِيَّ قَائِلًا: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ<sup>(٧٧)</sup>.

## سَابِعُهَا - الرَّأْسُ الْمُعَذْرُ إِلَى رَبِّهِ الْمُتَوَجِّهُ إِلَيْهِ:

وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ جَلِيلًا فِي خُطْبَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْبَلِيجَةِ الْمُسْتَوْعِبَةِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَدْ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَحْوَالٍ، وَتَعَالِيمٍ، وَوَصَايَا، وَكَانَ تِلْكُمُ الْخُطْبَةُ كَانَتْ الْقُفْلَةُ الَّتِي خَتَمَ بِهَا دَعْوَتَهُ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ رَبِّهِ: ﴿الْيَوْمَ أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا﴾<sup>(٧٨)</sup>، وَقَدْ التَّفَتَ الرَّاوِي إِلَى حَرَكَةِ رَأْسِ الرَّسُولِ التِّفَاتَةُ مُعْجِبًا لِمَا لَهَا مِنْ دِلَالَةٍ مَقَامِيَّةٍ وَإِيَّاهِ، فَرَوَى تِلْكَ الْحَرَكَةَ كَمَا رَوَى لَفْظَ الْخُطْبَةِ، فَقَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَغْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فَأَعْادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ"<sup>(٧٩)</sup>، وَفِي رَفْعِ الرَّأْسِ الشَّرِيفِ دِلَالَةٌ عَلَى مَعْنَى التَّوَجِّهِ إِلَى اللَّهِ، وَالْإِقْرَارِ بِمَا بَلَّغَ، وَرَجَائِهِ مِنْ رَبِّهِ الْقَبُولَ.

## ثَامِنُهَا - الرَّأْسُ الْقَاطِرُ وَدِلَالَةُ الْإِعْجَالِ:

وَقَدْ تَدْلُّ هَيْئَةُ الرَّأْسِ فِي مَقَاماتٍ مَخْصُوصَةٍ عَلَى حَالِ صَاحِبِهَا، وَالْهَيَّئَاتُ كَثِيرَةٌ كَمَا الْأَحْوَالِ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْسَلَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَجَاءَهُ وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ، فَقَامَتْ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ دِلَالَةٌ مُتَخَلِّقةٌ مِنْ هَيْئَةِ الْأَنْصَارِيِّ الَّذِي جَاءَ وَلِسَانُ حَالِهِ

يَقُولُ: "وَعِجْلُتْ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضِيْ" (٨٠)، فَبَادَرَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقُولِهِ: "لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ، فَقَالَ: نَعَمْ" (٨١).

### تاسِعُهَا - الرَّأْسُ الْأَشْعُثُ الْأَغْبُرُ:

وَالْحَقُّ أَنَّ تَلَكَ الْهَيْئَةَ قَدْ تَكُونُ ذَاتٌ دِلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَهِيَ مُنْسَلِخَةٌ مِنْ سِيَاقِهَا، وَلِلْمَرءِ أَنْ يُسْرَحَ خَاطِرَهُ مُلْتَمِسًا دِلَالَاتٍ وَمَعَانِي تَصَدِّقُ عَلَيْهَا تِلْكُمُ الْهَيْئَةُ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي مَقَامِ الْمَدِحِ وَالثَّنَاءِ عَلَى أَهْلِهَا فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَقَدْ تَكُونُ فِيهَا دِلَالَةٌ عَلَى التَّشَاغِلِ بِالْجِهَادِ وَالسَّيْرِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَنِ الشَّعْرِ وَإِسْدَالِهِ وَتَطْبِيْهِ، وَلَذَا قَالَ الرَّسُولُ: "طَوْبِي لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرِسَهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ، مُغْبِرَةً قَدَّمَاه" (٨٢)، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ كَانَتْ هَذِهِ الصَّفَةُ مِمَّا اعْتَرَى جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا رَجَعَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَوْمَ الْخَنْدِقِ، وَوَضَعَ السَّلَاحَ، وَأَغْتَسَلَ، أَتَاهُ جَبَرِيلٌ وَقَدْ عَصَبَ الْغُبَارُ رَأْسَهُ، فَقَالَ لَهُ حَاثَّاً وَمُنْهَضًا وَمُرْشِدًا: وَضَعَتِ السَّلَاحُ؟ فَوَاللَّهِ مَا وَضَعْتُهُ" (٨٣).

وَبَعْدُ، فَالْحَدِيثُ عَنْ هَيْئَاتِ الرَّأْسِ وَدِلَالَاتِهَا يَطْوُلُ، وَفِيمَا قَدَّمْتُهُ مُكْتَفَى دَالُ بِالْاِقْتِصَابِ إِلَى فَضْلِ الرَّأْسِ فِي التَّوَاصِلِ وَالْإِبَانَةِ، وَأَقْفَلُ هَذِهِ الْمُبَاحَثَةَ الْفَرْعَيْةَ بِالْإِلْمَاحِ إِلَى أَرْبَعَةِ مَلَاحِظَ:

- أَوْلُهَا: اسْتِدْلَالُ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَرَكَةِ رَأْسِهِ مِنْ كَانَ يَقِفُ فِي وَجَاهِهِ، كَالْجَارِيَةِ الْمُسَائِلَةِ وَالْمُجِيبَةِ بِالاعْتِمَادِ عَلَى مَلْحَظِ الصَّمْتِيَّاتِ وَالْحَرَكَيَّاتِ.

- وَثَانِيَهَا: اسْتِدْلَالُ أَصْحَابِهِ بِحَرَكَةِ رَأْسِهِ الشَّرِيفِ، وَتَعْوِيلُهُمْ عَلَى الْمَعَانِي الْمُتَائِيَّةِ مِنْهَا.

- وَثَالِثُهَا: فَضْلُ السَّيَاقِ فِي تَعْيِينِ دِلَالَةِ الْهَيْئَةِ وَالْحَرَكَةِ، فَالرَّأْسُ الْأَشْعُثُ الْمُغْبُرُ قَدْ يَكُونُ حَمَالًا لِمَعَانِي، وَلَكِنَّ السَّيَاقَ الَّذِي وَرَدَ فِيهِ كَانَ مُخْتَكَمًا أَمِينًا فِي إِسْبَاغِ دِلَالَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى وَجْهِ مِنَ الْإِحْكَامِ.

- وَرَابِعُهَا: قِيَامُ حَرَكَةِ الرَّأْسِ فِي بَعْضِ السَّيَاقَاتِ مَقَامَ الْكَلَامِ، وَقَدْ كَانَتْ فِي سَيَاقَاتِ أَخْرَى مِنْ مُعَزَّزَاتِ الْمَعْنَى الْمَنْطَوْقِ، فَتَعْيِينُ الدِّلَالَةِ الْكُلِّيَّةِ بِالرَّافِدَيْنِ: الصَّائِتِ الْمَنْطَوْقِ الْمُنْتَسِبِ إِلَى "الْكَلَامِيَّاتِ"، وَالصَّائِتِ الْحَرَكِيِّ الْمُنْتَسِبِ إِلَى "الصَّمْتِيَّاتِ".



## مِنْ هَيَّاتِ الْعَيْنِ وَدِلَالَتُهَا

قَدْ تَغْدوُ الْعَيْنُ فِي سِيَاقِ مَا لِسَانًا فَصِيحًا مُتَكَلِّمًا يَنْطِقُ بِمَعْنَى، فَيَسْتَجِيبُ مَنْ يُعَايِنُهَا، بَعْدَ اقْتِنَاصِ مُرَايَاهَا الْمُنْشَكِلِ مِنْ هَيَّةِ تَشْكِلِهَا، اسْتِجَابَةً عَمَلِيَّةً، أَوْ كَلَامِيَّةً، وَلِلْقُدْمَاءِ التِفَاتَاتُ مُعْجِبَةٌ إِلَى سُهْمَةِ الْعَيْنِ فِي التَّوَاصِلِ، وَالْإِبَانَةِ، وَالْبَيَانِ، وَالتَّبَيَّنِ، بَلْ تَعْدُوا ذَلِكَ إِلَى اعْتِبَارِ أَخْوَالِ الْعَيْنِ وَهَيَّاتِهَا مِنْ وُجُوهٍ أَحْدُهَا الْوَضْعُ؛ كَالْجَاهِظَةِ وَالْغَائِرَةِ، وَثَانِيَهَا الْمِقْدَارُ؛ كَالْعَظِيمَةِ وَالصَّغِيرَةِ، أَوِ الْجَفْنُ؛ كَالْغَلَيْظِ، وَالرَّقِيقِ الْمُسْتَوِيِّ، وَالْمُنْقَلِبِ، وَثَالِثُهَا: قِلَّةُ الْطَّرْفِ وَكَثْرَتُهُ، وَرَابِعُهَا حَرَكَةُ الْحَدْقَةِ؛ كَالْبُطْءِ وَالسُّرْعَةِ<sup>(٨٤)</sup>، وَقَدْ أَنْبَنَى عَلَى اعْتِبَارِهِمْ بِهَذَا التَّقْرِيرِ تَقْرِيرًا بِأَهْمِيَّتِهَا فِي الإِبَانَةِ عَنْ حَوَاشِي النَّفْوسِ وَضَمَائِرِهَا، وَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى قَوْلِهِمْ: "فَاعْتَمَدْ عَلَى هَذَا الْاعْتِبَارِ فِي تَوْسِيْكَ، وَاحْكُمْ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ"<sup>(٨٥)</sup>.

وَبِالْجُمْلَةِ، فَالْعَيْنُونُ وُجُوهُ الْقُلُوبِ، وَأَبْوَابُهَا الَّتِي تَبُدُّو مِنْهَا أَحْوَالُ النَّفْسِ وَأَسْرَارُهَا، وَذَلِكَ لَاتِّصالُهَا بِمَوَاجِعِ الْقَلْبِ، وَصَفَائِهَا، وَرِقْتَهَا، فَاحْكُمْ بِهَا لِتَحْقِيقِ النَّظَرِ وَصَحَّتِهِ...<sup>(٨٦)</sup>، وَقَدْ ذَهَبَ "هِيس" فِي كِتَابِهِ "الْعَيْنُ الْفَاضِحَةُ" إِلَى أَنَّ "الْعَيْنَ مِنْ أَدْقِ الْوَسَائِلِ وَأَفْضَلِهَا مِنْ بَيْنِ وَسَائِلِ الاتِّصالِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الإِنْسَانُ لِإِظْهَارِ مَا يَعْتَمِلُ فِي نَفْسِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْعَيْنَيْنِ تَقْعَدُ فِي مَرْكَزِ بُؤْرِيٍّ فِي الْجِسْمِ، فَضَلَّاً عَنْ أَنَّ إِنْسَانَ الْعَيْنِ يَعْمَلُ بِشَكْلٍ غَيْرِ طَوْعِيٍّ"<sup>(٨٧)</sup>.

وَلِلْقُدْمَاءِ إِلْمَاحَاتُ مُعْجِبَةٌ فِي دَرَسِ الْعَيْنِ وَهَيَّاتِهَا وَالْفَاظِهَا الدَّالِلَةِ الْمُتَبَاينَةِ بِتَبَانِيْنِ الْحَالَ، وَمِنْ ذَلِكَ "حَسِيرُتْ عَيْنُهُ" إِذَا اغْتَرَاهَا كَلَالٌ مِنْ طُولِ النَّظَرِ إِلَى الشَّيْءِ، وَ"رَرَرْتْ" إِذَا تَوَقَّدَ مِنَ الْخَوْفِ أَوْ غَيْرِهِ، وَقَالُوا مُفْحَسِلِينَ فِي الْهَيَّاتِ وَالدَّلَالَاتِ؛ إِذَا نَظَرَ إِلَى الشَّيْءِ بِمَجَامِعِ عَيْنِهِ قَيلَ "رَمَقَهُ"، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ جَانِبِ أَذْنِهِ قَيلَ "الْحَظَهُ"، وَإِنْ رَمَاهُ بِبَصِرِهِ مَعَ حَدَّهِ قَيلَ "حَدَجَهُ"، وَمِنْهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "حَدَثَ الْقَوْمَ مَا حَدَجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ"، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ بِحَدَّهِ وَشَدَّهِ قَيلَ "أَسَفَ النَّظَرِ إِلَيْهِ"، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يُسِفَ الرَّجُلُ نَظَرَهُ إِلَى أَمْهِ وَأَخْتِهِ وَابْنِتِهِ، وَإِنْ أَغْرَاهُ لَحْظَهُ

العداوة قيل "نَظَرَ إِلَيْهِ شَزْرَاً"، وإن نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ المُسْتَبَثَ قيل "تَوْضَحَهُ"، فإن فَتَحَ عَيْنَهُ وَجَعَلَ لَا يَطْرُفُ قيل "شَخَصٌ"، فإن فَتَحَ جَمِيعَ عَيْنَيْهِ لِشَدَّةِ النَّظَرِ قيل "حَدَّقٌ" (٨٨).

وللعلم في الحديث الشريف هَيَّاتٌ مُتَعَدِّدةٌ تُسْتَقَى مِنْهَا دِلَالٌ، وَتَعْنَى بِهَا مَعَانٍ، وَأَهْمُّهَا دِلَالُ الْإِعْجَابِ الْمُسْتَقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْمُعْجِبَةِ، وَدِلَالُ التَّثَاقِلِ وَالتَّرَاثِيِّ الْمُسْتَقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْكَلِيلَةِ الْمُتَثَاقِلَةِ، وَدِلَالُ الرَّضِيَّةِ وَالْقَبُولِ الْمُسْتَقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الرَّاضِيَّةِ، وَدِلَالُ التَّفْحِصِ وَالتَّدَبِّرِ الْمُسْتَقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْمُتَبَصِّرَةِ الْمُتَأْمَلَةِ، وَدِلَالُ الْحُشُوعِ الْمُسْتَقَاءُ مِنَ الْعَيْنِ الْبَاكِيَّةِ، وَدِلَالُ الْطَّلَبِ وَالْاسْتِنْطَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ، لِتَرْجِعِ النَّظَرِ فِي سَبْعِ هَيَّاتٍ حَمَالَاتٍ لِسَبْعَةِ مَعَانٍ:

### الْعَيْنُ الْمُعْجِبَةُ الْمُسْتَحِسَنَةُ:

مِن الدَّلَالَاتِ الَّتِي تُعَيِّنُهَا الْعَيْنُ عَامَّةً، وَطَبِيعَةُ النَّظَرِ خَاصَّةً، دِلَالُ الْإِعْجَابِ، وَهَذَا مَعْنَى كَثُرٌ وَرُوْدُهُ فِي شِعْرِ الشُّعُراءِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

**وَعَيْنُ ذِي الْوُدِّ مَا تَنْفَكُ مُقْبِلَةً تَرِي لَهَا مَحْجَراً شَبَّاً وَإِنْسَانًا (٨٩)**  
 وقد ورد هذا المغني في الشعر كثيراً، وقد وقع ذلك في الحديث الشريف كذلك، فمن ذلك أنَّ امرأةً من خاتمة جاءت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَقْتَيَةً، وكان معه الفضل، وهو رديفه، فجعل الفضل ينظر إليها نظر المُعْجَبِ بِحُسْنِها، وتَنْتَظِرُ هِي إلىه، فما كان من الرَّسُول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا أَنْ صَرَفَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ وَجَهَ الفضل إلى الشَّقِّ الْآخِرِ (٩٠)؛ ذلك أنَّ تِلْكَ النَّظَرَاتِ وَالتَّرَامِقَ كَانَ مِمَّا يَنْتَسِبُ إِلَى بَابِ القُولِ عَلَى خَائِنَةِ الْأَعْيُنِ الْمَنْهِيِّ عَنِ إِتْيَانِهَا.

### الْعَيْنُ الْمُسْتَنْطِيَّةُ الطَّالِبَةُ:

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْعَيْنِ نَظَرٌ يُفِيدُ مَعْنَى الْطَّلَبِ وَالْاسْتِنْطَاءِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْمَلْحَاظَ فِي التَّوَاصُلِ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ كَثِيرٌ كَثِيرٌ فِي حِيَاتِنَا الْيَوْمَيَّةِ، وَقَدْ نَقَلَ لَنَا الرَّوَاةُ ذَلِكَ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ النَّبِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرَضِ مَوْتِهِ وَبِيَدِهِ سُواكُ، فَأَخَذَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْظُرُ إِلَيْهِ نَظَرَ الطَّالِبِ بِالصَّمْتِ وَالإِيمَاءِ، فَتَوَاصَلْتُ عَاشِشَةُ مَعَ ذَلِكَ الْطَّلَبِ بِاسْتِجَابَةٍ سَرِيعَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى تَقْدِيمِهِ لَهُ بَعْدَ تَلْبِينِهِ، وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهَا - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : "فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السُّواكَ، فَقَلْتُ أَخْذُهُ لَكَ" <sup>(٩١)</sup>، وَفِي رِوَايَةِ دَالَّةٍ مُعْبِرَةٍ عَنْ دِلَالَةِ نَظَرِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "فَأَبَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ بَصَرَهُ" <sup>(٩٢)</sup>، أَيْ أَعْطَاهُ بُدْتَهُ مِنَ النَّظَرِ؛ أَيْ حَظَهُ <sup>(٩٣)</sup>.

### العَيْنُ الْفَاحِصَةُ الْمُتَبَصِّرَةُ:

وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ الْمَغْنِى لَمَّا جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَوَهَبَتْ نَفْسَهَا إِلَيْهِ، "فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَيُصْعَدُ النَّظَرُ فِيهَا، وَيُصَوَّبُهُ" <sup>(٩٤)</sup>، وَلَيْسَ يَخْفَى أَنَّ فِي نَظَرِ الرَّسُولِ الشَّرِيفِ ذَلِكَ دِلَالَةٌ تَكَادُ تُلْمِحُ إِلَى تَدْبِيرِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِطَلْبِهَا، وَتَفْحِصِهِ لَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ جَوابَهُ كَانَ قَائِمًا عَلَى اسْتِرْفَادِ الدِّلَالَةِ مِنْ حَرَكَةِ الرَّأْسِ خَاصَّةً، وَالصَّمْتَيَاتِ عَامَّةً.

### العَيْنُ الْمُتَنَاقِلَةُ الْكَلَيلَةُ:

وَقَدْ يَهْتَدِي الْمَرْءُ إِلَى مَعْنَى التَّنَاقِلِ وَالْتَّرَاجِي مِنْ عَيْنٍ مِنْ يِقْفُ وجاهَهُ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَاعُثُ عَلَى ذَلِكَ أَمْرَأَا مُتَبَايِنَةً؛ كَالْتَّعِيْبِ، أَوِ السُّتُّكِ، أَوِ الْمَرَضِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ وَقَفَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى ذَلِكَ الْمَغْنِى لَمَّا رَأَى حَمْزَةَ عَمَّهُ فِي حَالٍ يُصَدِّقُ عَلَيْهَا وَصَفُّ مَا تَقَدَّمَ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَأْذَنَ مِنْ مَعْ عَمِّهِ بِالدُّخُولِ، فَأَذِنَ لَهُ، فَإِذَا هُمْ قَوْمٌ شَرِبُ <sup>(٩٥)</sup>، فَطَفَقَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِلَوْمٍ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ <sup>(٩٦)</sup>، فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ "ثَمَلَ مُحَمَّرَةً عَيْنَاهُ" ، فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ نَظَرَ الْمُتَنَاقِلِ الشَّارِبِ، "ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرُ، فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرُ، فَنَظَرَ إِلَى سُرْتَهِ، ثُمَّ صَعَدَ النَّظَرُ، فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ إِلَّا عَبِيدُ لَأَبِي، فَعَرَفَ النَّبِيُّ أَنَّهُ قَدْ ثَمَلَ..." <sup>(٩٧)</sup>.

## العَيْنُ الشَّاكِرَةُ وَالبَصْرُ الْحَدِيدُ:

جاء في الحديث الشريف عن عائشة قالت: "كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: إنَّه لَمْ يُقْبِضْ نَبِيًّا حَتَّى يَرَى مَقْعَدَه مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْيَرَ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي، غُشِّيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَه إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى..."<sup>(٩٨)</sup>، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى مُشَاهَدٌ مَعْرُوفٌ فِي الْغَالِبِ لِمَنْ يُعَايِنُ مَنْ حَضَرَه الْمَوْتُ، وَهُوَ مِنْ وُجُوهِهِ أُخْرَى، مَعْنَى مُقْرَرٌ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ - تَقَدَّسَ اسْمُهُ -: ﴿فَكَشَفْنَا عَنَّكِ غُطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾<sup>(٩٩)</sup>.

## العَيْنُ الْبَاكِيَّةُ الْخَاشِعَةُ:

وَمِنْ هَيَّنَاتِ الْعَيْنِ الْبَاكِيَّةِ، وَلَذِكَّرْ بِواعِثِ مَحْصُوصَةٍ وَأَعْرَاضٍ، فَقَدْ يَكُونُ باعِثُ ذلكَ الْخَوْفَ، أَوِ الْجَزَعَ، وَهَذَا مَعْنَى مُقْرَرٌ شَائِعٌ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيِّيِّ الشَّرِيفِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَثُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَّ تَحْرِسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(١٠٠)</sup>، وَفِي مَقَامٍ آخَرَ دَالٌّ عَلَى مَا أَنَا خَائِضُ فِيهِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ لَهُ: أَقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ سُورَةَ النِّسَاءَ حَتَّى أَتَى عَلَى قَوْلِهِ الْحَقِّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتْوَلَاءَ شَهِيدًا﴾<sup>(١٠١)</sup>، قَالَ: حَسْبُكَ، فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ"<sup>(١٠٢)</sup>.

## العَيْنُ الرَّاضِيَّةُ الْمَرْضِيَّةُ:

وَقَدْ يَظْهَرُ مِنَ الْعَيْنِ مَعْنَى الرِّضَى وَالْقَبُولِ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالضَّدِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَنِ ابْنِ مَحْرَمَةَ "أَنَّ الرَّسُولَ - صلى الله عليه وسلم - قَسَمَ أَقْبِيَةً وَلَمْ يُعْطِ مَحْرَمَةً شَيْئًا، فَقَالَ مَحْرَمَةً: يَا بُنْيَيِّ، انْطَلَقْ بِنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صلى الله عليه وسلم، فَفَعَلَ، فَقَالَ: ادْخُلْ فَادْعُهُ، فَقَالَ: فَدَعَوْتُهُ لَهُ، فَخَرَجَ وَعَلَيْهِ قِبَاءُ مِنْهَا، فَقَالَ: حَبَّاتُ هَذَا لَكَ"<sup>(١٠٣)</sup>، فَنَظَرَ مَحْرَمَةُ إِلَيْهِ نَظَرَ الرَّاضِيِّ الْمُطْمَئِنِ، وَقَالَ: "رَاضِي مَحْرَمَةٌ"<sup>(١٠٤)</sup>.

وَحَسْبِيَ بَعْدَ هَذَا الْعَرَضِ لِبَعْضِ هَيَّنَاتِ الْعَيْنِ وَدَلَالَاتِهَا الإِشَارَةُ إِلَيْها فِي مَوْضِعَيْنِ: الْأَوَّلُ: الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ، وَالثَّانِي: الْمَثَلُ الْعَرَبِيُّ، فَقَدْ قِيلَ:

لِمَا تَطْوِي الْقُلُوبُ عَنِ الْقُلُوبِ  
 تَهَادَتْ بَيْنَهَا عِلْمُ الْغُيُوبِ  
 ثَرِيدٌ بِهِ مُكَايِدَةُ الرَّقَبَىِ  
 وَقَدْ أَعْضَتْ عَلَى عِلْمِ عَجَيبٍ (١٠٥)

إِشَارَاتُ الْعَيْنِ مُتَرْجِماتُ  
 إِذَا هِيَ تَرْجَمَتْ بِالْلَّحْظِ سِرًا  
 وَفِي إِغْضَائِهَا مَغْنِيًّا لَطِيفُ  
 فَيَرْجِعُ مَالَهُ بِالْغَيْبِ عِلْمُ  
 وَقَيْلَ:

وَتَعْرُفُ بِالنَّجْوِي الْحَدِيثُ الْمُعَمَّسَا (١٠٦)

وَعَيْنُ الْفَتَى تُبْدِي الَّذِي فِي ضَمِيرِهِ  
 وَقَيْلَ: "شَاهِدُ الْبُخْضِ النَّاظِرُ" (١٠٧)، وَ"رُبَّ طَرَفٍ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانٍ" (١٠٨).  
 "وَالْبُخْضُ تُبْدِي لَكَ الْعَيْنَانِ" (١٠٩).



## مِنْ هَيْنَاتِ الْيَدِ وَدِلَالَاتِهَا<sup>(١٠)</sup>

يُقالُ: إِنَّ "الْيَدَ أَدَاءُ الدِّمَاغِ، وَالْجُزْءُ الْوَحِيدُ فِي الْجَسْمِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ دَوْمًا تَحْتَ الْعَيْنَيْنِ، وَالرَّابِطَةُ الْمُمِيزَةُ مَعَ الْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ"<sup>(١١)</sup>، وَمَا دَامَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَهُنَى إِذَا وَسِيلَةُ اتِّصَالٍ غَيْرِ لَفْظِي يَعْزُزُ نَظِيرُهَا، وَقَدْ تَكُونُ فِي مَقَامِيَّاتٍ بَدِيلًا عَنِ الْكَلَامِ<sup>(١٢)</sup>، وَقَدْ اجْتَرَحَتِ الْعَرَبِيَّةُ الْفَاظًا مَخْصُوصَةً لِهَيْنَاتِ الْيَدِ وَدِلَالَاتِهَا، فَقَدْ عَقَدَ النَّعْلَابِيُّ فَصَلًا خَاصًا فِي "تَفْصِيلِ حَرَكَاتِ الْيَدِ وَأَشْكَالِ وَضَعِيفَهَا وَتَرْتِيهَا"<sup>(١٣)</sup>، وَهُوَ بِهَا يَقْفُزُ بِقَارِئِهِ عَلَى هَيْنَاتِ وَدِلَالَاتِ مِنْهَا "الْمُشَاجَبَةُ"، وَهِيَ جَعْلُ الْأَصْبَاعِ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَ"الْقَفْضَةُ"، وَهِيَ ضَمُّ أَطْرَافِ الْأَصْبَاعِ، وَ"الْتَّبَلُّدُ" أَوِ التَّصْفِيقُ "إِذَا ضَرَبَ إِلَهْدِي رَاحَتِيَّهُ عَلَى الْأَخْرَى، وَالْإِلْوَاءُ" تَحْرِيكُ السَّبَابَةِ، وَبِهِ قَدْ يَقْعُدُ السَّلَامُ وَالْإِشَارَةُ، وَ"الْإِسْتِكْفَافُ" أَنْ يَنْظَرَ إِنْسَانٌ إِلَى قَوْمٍ فِي الشَّمْسِ فَيُلْصِقُ حَرْفَ كَفَّهُ بِجَبَهَتِهِ، فَإِنْ زَادَ فِي رَفِعِ الْكَفِّ عَنِ الْجَبَهَةِ فَهُوَ "الْإِسْتِشَافُ"، وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيرٌ<sup>(١٤)</sup>.

وَمَا كَانَ أَكْثَرُ ظُهُورَ الْيَدِ فِي هَيْنَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَالْحَقُّ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مَدْعَاءً إِلَى مُرَاوِدَةِ نَفْسِي فِي كِتَابَةِ بَحْثٍ قَائِمٍ بِرَأْسِهِ فِي هَيْنَاتِ الْيَدِ وَمَعَانِيهَا، فَقَدْ ظَهَرَتْ فِي هَيْنَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، فَكَانَ ثَمَّ يَدُ مُشِيرَةٌ مُعَيْنَةٌ لِلْمَكَانِ، وَالْجِهَةِ، وَالْكَمْيَةِ، وَالشَّيْءِ، وَالْحَالِ، وَكَانَ ثَمَّ يَدُ آمِرَةٌ نَاطِقةٌ، وَيَدُ ثَالِثَةٌ عَادَةٌ، وَيَدُ مُؤَكِّدَةٌ، وَيَدُ مُقْلَلَةٌ، وَيَدُ مُسْتَنْطِيَّةٌ طَالِبَةٌ، وَيَدُ رَاقِيَّةٌ مَاسِحَةٌ، وَيَدُ مُهَدَّةٌ مُطَمِّنَةٌ، وَيَدُ مُسْلِمَةٌ، وَيَدُ مُبَايِعَةٌ، وَيَدُ حَانِيَّةٌ مُتَلَّفَّةٌ، وَيَدُ مُعَوَّذَةٌ، وَيَدُ مُنْفِقَةٌ، وَيَدُ صَارِفَةٌ مُنْكَرَةٌ، وَيَدُ الصَّحَبَةِ وَالْتَّلَازِمِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي قَرَرَتْهَا هَيْنَاتٌ حَرَكَيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ سَأَتَيَ عَلَى بَعْضِهَا، وَمِنْهَا:

### الْيَدُ الْمُشِيرَةُ الْمُعَيْنَةُ:

كَثِيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ الْيَدُ فِي إِشَارَةِ التَّعْيِينِ؛ تَعْيِينِ الْجِهَةِ، أَوِ الْمَكَانِ، أَوِ الشَّيْءِ، أَوِ الْكَمْيَةِ، أَوِ الزَّمَانِ، وَاللَّالِفُ لِلنَّظَرِ مِنْ وُجْهِهِ سُلُوكِيَّةٌ أَنَّ الطَّفَلَ الصَّغِيرَ يُشَيرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ قَبْلَ التَّكَلُّمِ، فَتَكُونُ إِشَارَتُهُ الْمُتَخَلِّقَةُ عَنْ يَدِهِ أَوْ يَدِيهِ وَجْهًا مِنْ وُجُوهِ التَّوَاصِلِ

غَيْرِ الْفَظِيِّ، وَنَائِبًاً أَمِينًاً يَقُومُ مَقَامَ النَّطْقِ الَّذِي لَمْ يَكْتُلْ عِنْدَهُ، "وَلَكَنَّهُمْ حَالًا يَعْلَمُونَ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَيرُونَ إِلَيْهَا، تَبِعًاً إِشَارَةً التَّعْقِينِ فِي الْاخْتِفَاءِ التَّدْرِيْجِيِّ، وَلَكُنْ تَحْلُّ مَحْلَهَا أَشْكَالٌ مِنَ الإِشَارَةِ" (١١٥).

وَقَدْ وَقَعَ جُلُّ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ، فَكَانَتِ الْيَدُ مُتَكَلِّمَةً نَاطِقَةً بِإِشَارَتِهَا وَتَعْبِيرَاتِهَا الْحَرَكِيَّةِ الدَّالَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ إِشَارَةُ الْيَدِ الْمُعِينَةِ لِلْكَمِيَّةِ فِي حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَدْ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي حَدْرِيدِ دَيْنَارًا لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَرْتَقَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، فَنَادَى كَعْبًا، فَأَمْرَهُ بِدُفْعِ شَطَرٍ مِنْ دَيْنِهِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ لَا بِلِفْظِهِ، "فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ خَصَ الشَّطَرَ مِنْ دَيْنِكَ" (١١٦)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "فَأَشَارَ بِيَدِهِ كَانَهُ يَقُولُ النَّصْفَ، فَأَخَذَ نِصْفَ مَا لَهُ عَلَيْهِ" (١١٧)، فَاقْتَنَصَ كَعْبُ مُرَادَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُتَعِينَ مِنْ حَرَكَةِ يَدِهِ الشَّرِيفَةِ، فَأَجَابَهُ مُعْتَمِدًا عَلَى الْمَجْرِيِ الْصَّاِيَّاتِ قَائِلًا: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الرَّسُولُ: "قُمْ فَاقْضِهِ" . وَالذِّي يَظْهُرُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ التَّوَاصُلُ الْمُتَرَدِّدُ بَيْنَ الْكَلَامِيَّاتِ وَالصَّمْتِيَّاتِ أَنَّ الْيَدَ كَانَتْ آمِرَةً مُعِينَةً لِلْكَمِيَّةِ.

وَقَدْ تَكُونُ الْيَدُ الْمُشِيرَةُ مُعِينَةً لِلْمَكَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "الْإِيمَانُ هُنْا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمِينِ" (١١٨)، وَاللَّافِتُ أَنَّ إِشَارَتَهُ تِلْكَ قَامَتْ مَقَامَ الْكَلَامِاتِ، وَلَمَّا جَاءَ الرَّاوِي الْأَمِينُ نَقَلَ لَنَا حَرَكَةً مَرْسُومَةً بِالْكَلَامِاتِ، فَقَالَ لَفَظًا وَنُطْقًا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ بِيَدِهِ حَرَكَةً: "وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْيَمِينِ" . وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صَلَّى لَنَا يَوْمًا الصَّلَاةَ، ثُمَّ رَقَى الْمِذْبَرَ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ قَبْلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: قَدْ أُرِيتُ الآنَ مُنْذُ صَلَيْتُ لَكُمُ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمْتَثَتِينَ فِي هَذَا الْجِدارِ" (١١٩).

وَقَدْ تَكُونُ الْيَدُ الْمُشِيرَةُ مُعِينَةً لِلْجِهَةِ، وَهَذَا قَرِيبٌ مِمَّا تَقَدَّمَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ حَطِيَّاً أَشَارَ نَحْوَ مَسْكَنِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: "هُنْا تَطْلُعُ الْفِتْنَةُ ثَلَاثًا، مِنْ حِيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (١٢٠)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هُنْا، يُشِيرُ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ مِنْ حِيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (١٢١) . وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ إِشَارَةً الْأَعْمَى الْخَرَرِ إِلَى الرَّسُولِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ اسْتَأْنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَذِنَ لَهُ،

فَقَالَ لَهُ: "أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أَصْلِيَ مِنْ بَيْتِكَ، فَأَشَرْتُ إِلَيْهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَحِبُّ، فَقَامَ..." (١٢٢)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لَابْنِ أَمِّ أُوفِي: "إِجْدُونَ لِي" (١٢٣)، ثُمَّ رَمَى بِيَدِهِ هُنَا، ثُمَّ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ" (١٢٤).

وَقَدْ تَكُونُ الْيَدُ الْمُشِيرَةُ مُعِينَةً شَيئًا مَخْصُوصًا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "لَوْلَا أَنْكُمْ تُغَلِّبُونَ لَنَزَلْتُ حَتَّى أَصْبَحَ الْحَبَلُ عَلَى هَذِهِ، يَعْنِي: عَاتِقَهُ، وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقَهُ" (١٢٥)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: "أَمْرَتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبَعةِ أَعْظَمِ: عَلَى الْجَبَهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ، وَالْيَدَيْنِ..." (١٢٦)، وَعِنْدَ النِّسَائِيِّ: "وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبَهَتِهِ، وَأَمْرَرَهَا عَلَى أَنْفِهِ، وَقَالَ هَذَا وَاحِدٌ"، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ أَفْضَلُ إِلَى قِيَامِ أَحْكَامِ فِقْهِيَّةٍ، فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ: يُجْزِئُ عَلَى بَعْضِ الْجَبَهَةِ، وَيُسْتَحِبُّ عَلَى الْأَنْفِ، لَأَنَّهُ إِنَّمَا نُكَرِّبُ بِالإِشَارَةِ، فَكَانَ مَنْدُوبًا، وَالْجَبَهَةُ هِيَ الْوَاقِعَةُ فِي صَرِيحِ الْلَّفْظِ، فَلَوْ تَرَكَ السَّجْوَدَ عَلَى الْأَنْفِ لَجَازَ، وَلَوْ اقْتَصَرَ عَلَيْهِ وَتَرَكَ الْجَبَهَةَ لَمْ يَجُزْ (١٢٧)، كُلُّ ذَلِكَ مَرْدُوهٌ إِلَى حَرْكَتِهِ الشَّرِيفَةِ، وَإِشَارَتِهِ بِيَدِهِ، وَتَمْثِيلِهِ لِلْمَعْنَى.

### الْيَدُ الْمُنْفَقَةُ:

وَقَدْ تَكُونُ هَيْئَةً حَرَكَةً الْيَدِ دَالَّةً عَلَى الإِنْفَاقِ، رَاسِمَةً لِهَذَا الْمَعْنَى بِحَرْكَتِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا ذَرًّا سَمِعَ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ: "هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: مَنْ هُمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأَمِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ أَمْوَالًا، إِلَّا مَنْ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا" (١٢٨)، وَالْمَعْنَى الْمُرْدُدُ: الْمُنْفَقُونَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَلَا يَكْنِزُونَهَا، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "مَا أَحِبُّ أَنْ أُحْدِي لِي ذَهَبًا تَأْتِي عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ ثَلَاثَ عَنِي مِنْهُ دِينَارٌ أَرْصَدُهُ لِدِينِ إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا، وَأَرَانَا بِيَدِهِ" (١٢٩)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "وَأَشَارَ أَبُو شِهَابٍ بَيْنَ يَدِيهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ" (١٣٠)، وَبِذَلِكَ تَعْدُو كَلْمَةً "هَكَذَا" الْأَوْلَى ذَاتَ مَعْنَى، وَهُوَ "بَيْنَ يَدِيهِ" ، وَالثَّانِيَةُ مَعْنَاهَا: "عَنْ يَمِينِهِ" ، وَالثَّالِثَةُ مَعْنَاهَا: "عَنْ شِمَالِهِ" .

## اليد المباعدة:

وقد تكون من اليد حركة مخصوصة تُفيد بـ**الدلالات المباعدة والصفة**، والذي يستحق المساءلة بكثير من لطف النظر والرؤية هو تلمس الرابط الاستقائي بين "صفق" والصفقة؛ إذ إن الصفة المباعدة، وهي، في هذا كله، مأخوذة من أصل مادي هو التصفيق؛ ذلك أن هذه الدلالات قائمة على تصوير حركي يقع آن انعقاد البيع أو الشراء، وإنما قيل للبيعة صفة لأنهم كانوا إذا تباعوا تصافقوا بالأيدي<sup>(١٣١)</sup>، لأن المتعاهدين يضع أحدهما يده في يد الآخر، كما يفعل المتباعون<sup>(١٣٢)</sup>، وقد جاء في الحديث في بيعة الرضوان بعدها "عثمان إلى مكة، فقال رسول الله بيده اليمني: هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال هذه لعثمان"<sup>(١٣٣)</sup>.

## اليد المقللة المزهدة:

وقد يستعمل المرأة يده أو يديه قاصداً الإلماح إلى التكثير أو التقليل، ومن ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم - عن أبي هريرة أنَّه ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: "فِيهِ سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصْلِي يَسَأْلُ اللَّهَ - تَعَالَى - إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَالُ لَهَا"<sup>(١٣٤)</sup>، وفي رواية أخرى: "وقال بيده، قلنا يُقالُ لها، يُزَهَّدُها"<sup>(١٣٥)</sup>.

## اليد المسلمة:

ومن المقرر أن السلام يكون بالقول، أو بالفعل، أو بكليهما، وقد وقع السلام بالإشارة في حديث الرسول، فعن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - طاف بالبيت على بغير كلما أتى الرُّكْنَ أشار إليه<sup>(١٣٦)</sup>، وفي رواية أخرى: "أشار إليه بشيء عنده ثم كبر"<sup>(١٣٧)</sup>.

## اليد العادة المخصوصة:

وقد يستعين المرأة بيده، أو يديه، في إحصاء مراidiه أو عده، ومن ذلك قوله: "إنا أمّةٌ أُمِيَّةٌ لا نكتُب ولا نحسب، الشَّهْرُ هَذَا وَهَذَا، يَعْنِي تَسْعَةً وَعَشْرِينَ، وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ"<sup>(١٣٨)</sup>، وفي رواية: "الشَّهْرُ هَذَا وَهَذَا، وَخَنَسُ الإِبَهَامِ فِي الثَّالِثَةِ"<sup>(١٣٩)</sup>، وفي

رواية ثالثة: "الشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، يَعْنِي ثَلَاثِينَ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا، يَعْنِي تِسْعَةً وَعِشْرِينَ" (١٤٠)، وَمِنْ مِثْلِ مَا نَقَدَمْ أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ جَاءَ مَالٌ أَبَا بَكْرٍ مِنْ قِبْلِ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى النَّبِيِّ دَيْنٌ، أَوْ كَانَتْ لَهُ قَبْلَهُ عِدَّةٌ فَلَيَأْتِنَا، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: وَعَدْنِي رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُعْطِينِي هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا، فَبَسَطَ يَدِيهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، قَالَ: فَعَدَ فِي يَدِي حَمْسَ مِئَةً ثُمَّ حَمْسَ مِئَةً، ثُمَّ حَمْسَ مِئَةً (١٤١).

### **اليدُ المُجِيبةُ النَّافِيَةُ الْمُطْمَئِنَةُ:**

وَقَدْ يَسْتَعِينُ الرُّسُلُ بِيَدِهِ لِلإِشَارَةِ إِلَى الْإِجَابَةِ الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْطَّمَآنَةِ وَالنَّفِيِّ، وَتَكُونُ تِلْكُمُ الْحَرَكَةُ مُرْأِفَةً فِي دِلَالِهَا لِقولِنَا: "لَا عَلَيْكَ" ، أَوْ "لَا حَرَجَ" ، وَبِذِيَا يَتَرَافَدُ الْمَجْرِيَانِ الصَّامِتُ وَالصَّائِتُ فِي الْإِبَانَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: "إِنَّ النَّبِيَّ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَوْلَهُ لَهُ: ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِي، فَأَوْمَأْ بِيَدِهِ وَقَالَ: لَا حَرَجَ، فَقَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَدْبَحَ، فَأَوْمَأْ بِيَدِهِ، وَقَالَ: لَا حَرَجَ" (١٤٢).

### **اليدُ الْمُسْتَخِفَةُ:**

وَقَدْ يَوْمَيُ الْرَّءُوفُ بِيَدِهِ إِلَى أَمْرٍ مَا مُعْلِنًا بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْيَدَوِيَّةِ الْاسْتِخْفَافَ وَالتَّقْلِيلَ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرِي ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقْعُدْ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرِي ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ" (١٤٣)، فَقَالَ بِهِ هَكَذَا، قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ فَوْقَ أَنْفِهِ "هَكَذَا" كَانَتْ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ، فَالْفَاجِرُ لِقَلْلِهِ عَمَلَهُ يَقْلُلُ حَوْفُهُ، فَيَسْتَهِنُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَدَلِلَ التَّمَثِيلُ الْأَوَّلُ عَلَى عَامَّةِ الْخَوْفِ وَالاحْتِرَازِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالثَّانِي عَلَى نَهَايَةِ قِلَّةِ الْمُبَالَاهِ وَالاحْتِقَالِ بِهَا، لِكَوْنِهِ أَخْفَ الطَّيْرِ وَأَحْقَرَهُ، وَلَأَنَّهُ يُدْفَعُ بِالْأَقْلَلِ، وَبِالْأَنْفِ لِلْمُبَالَغَةِ فِي اعْتِقَادِهِ خِفَّةُ الذَّنْبِ عِنْهُ، لَأَنَّ الذَّنْبَ قَلَّمَا يَنْزَلُ عَلَى الْأَنْفِ، وَإِنَّمَا يَقْصُدُ غَالِبًا الْعَيْنَ، وَبِالْيَدِ تَأكِيدًا لِلْخِفَةِ (١٤٤).

### **اليدُ الْمُعَمَّمَةُ الشَّامِلَةُ:**

وَقَدْ يَعْمَدُ الْمَرْءُ إِلَى يَدِهِ لِيُعْمَمَ مُرَادَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: "أَلَا أَحْبِرُكُمْ بِخِيرِ دُورِ

الأنصار؟ فقلوا: بلى يا رسول الله، قال: بنو النجّار، ثمَّ الذين يلوئهم... ثمَّ قال بيده، فقبض أصابعه، ثمَّ بسطهن كالرامي بيده، ثمَّ قال: "وفي كُل دور الأنصار حيّر" (١٤٥)، والظاهر من هذه الحركة التعميم والشمول، فترافق الدلالتان في أداء هذا المعنى، وكانت الحركة مساندة للفظ في تقرير المعنى.

### اليد المؤكدة:

وقد يحرك المزمِّيَّ يده حركةً، المقصد منها تأكيد ما هو خائض فيه من قول، وهو كثير في حياتنا اليومية، ومن ذلك تأكيد عائشة لحدث قام به تأكيداً لفظياً كما هو مقرر في درس التحوُّل، وتأكيداً حركياً أداته الجوارح، فقد قال في الحديث الذي ورد في صحيح البخاري: "طَبَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِيَدِي هَاتَيْنِ حِينَ أَحْرَمَ، وَلِحَلَّهِ حِينَ أَحَلَّ قَبْلَ أَنْ يَطْوِفَ، وَبَسْطُتْ يَدِيْهَا" (١٤٦) إلحاكاً وتأكيداً على فعلتها تلك، وتبياناً لحكم فقيهي.

### اليد الآمرة الناطقة:

وقد يتعرّض على المزمِّيَّ في مقاميات ما الكلام، فتتعطل لغة الكلام، فيسترفد المزمِّي من الجسد عامّةً، وجوارجه خاصةً، العون على الدلالة والإبانة، فتقوم حركاته الصادرة عن جوارجه مقام كلماته، وبذا يتحقق المثل الفرنسي الشائع، وهو ذو دلالة عالمية: "يتحدّث بيديه" (١٤٧)، ومن ذلك إشارة النبي بيده الشريفة إلى أبي بكر بالمعنى مكانه، وإتمام صلاته في مرضه الذي مات فيه (١٤٨)، وفي رواية أخرى: "فلما أكثروا التفت أبو بكر، فإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - في الصّف، فأشار إليه أن مكانك" (١٤٩)، وفي رواية أخرى: "فأومأ إليه النبي - صلى الله عليه وسلم - أن امض، وأومأ بيده هكذا" (١٥٠)، وهذا كما هو ظاهر تواصل غير لفظي حمال المعانٍ تفضي بالمتلقى إلى استجابة.

وفي مقام آخر أَنَّه كَشَفَ سِرَّ عائشةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ، فَتَبَسَّمَ يَضْحِكُ، فَنَكَصَّ أبو بكر على عقبيه ظانًا أنَّ الرَّسُولَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ، فَأَشَارَ بيده أَنْ أَتَمْوَا، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ، وَتَوَفَّى مِنْ يَوْمِه (١٥١).

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَرْضِهِ وَقَدْ اشْتَدَّ وَجْعُهُ: "هَرِيقُوا عَلَيَّ الْمَاءُ مِنْ سَبَعِ قِرْبٍ لَمْ تُحلَّ أَوْكِيْتُهُنَّ لَعَلَّيْ أَعْهُدُ إِلَى النَّاسِ... ثُمَّ طَفَقْنَا نَصْبُ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرْبِ، حَتَّى طَفَقَ يُشَيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْنَّ" (١٥٢).

وَكَذِلِكَ نَهِيُّ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ عَنِ الْخَدِيثِ، وَالإِشَارَةُ بِالْتَّاخِرِ وَالْتَّرَاجِعِ، فَقَدْ وَرَدَ مِنْهُ نَهِيٌّ عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَدَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَعِنْدَهَا نِسْوَةٌ، فَصَلَّى بَعْدَ الْعَصْرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ الْخَادِيمَةَ فَقَالَتْ: "قَوْمِي إِلَى جَنْبِهِ، فَقَوْلِي: تَقُولُ أُمِّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ أَسْمَعْكَ تَنْهِيَ عَنْ هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ، فَأَرَاكَ تُصْلِيهِمَا، فَإِنْ أَشَارَ بِيَدِهِ فَأَسْتَأْخِرُهُ، فَفَعَلَتِ الْجَارِيَّةُ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ فَأَسْتَأْخِرْتُ" (١٥٣)، وَالْمُلْاحَظُ هُنْا أَنَّ إِشَارَةَ الْيَدِ سَدَّتْ مَسَدَّ الْكَلَامِ فِي مَقَامِ يُمْنَعُ فِيهِ الْكَلَامُ، وَهُوَ الصَّلَاةُ، فَهُنَا "تَتَدَخَّلُ الإِشَارَاتُ الْيَوْمَيَّةُ بِسُرْعَةٍ إِذَا مُنْعَ الْكَلَامُ، بَلْ تُسْيِطُ عَلَى بَعْضِ الْعَنَاصِيرِ التَّرْكِيَّيَّةِ" (١٥٤).

### الْيَدُ الْمُصَوَّرَةُ الرَّاسِمَةُ لِلْمَعْنَى:

وَقَدْ يَعْمَدُ الْمَرْءُ إِلَى يَدِهِ، أَوْ يَدِيهِ كَلِتَيْهِمَا لِرَسْمِ مُرَادِهِ مُسَاوِقًا بَيْنَ الدَّلَالَتَيْنِ الصَّامِتَةِ وَالصَّائِتَةِ، لِيَكُونَ صَنِيعُهُ ذَاكَ شَرْحًا وَتَجْلِيَّةً وَتَفْسِيرًا لِمُرَادِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ شَرْحُهُ لِقَوْلِ الْحَقِّ - تَقْدِيسُ اسْمُهُ - ﴿فَوَجَدَا فِيهَا حِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ (١٥٥)، فَقَدْ مَثَّلَ الرَّسُولُ هَيْنَيَّةَ الْإِقَامَةِ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ كَمَا وَرَدَ: "قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ بِيَدِهِ هَكُنَا، وَرَفَعَ يَدَهُ فَأَسْتَقَامَ" (١٥٦).

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ رَسْمُهُ لِدِلَالَةِ الْهَرَجِ رَسِمًا حَرَكَيَاً مُسَاوِقًا لِلْدِلَالَةِ الْمُنْطَوِقَةِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: "يُقْبَصُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفَتْنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرَجُ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرَجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَكَهَا كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ" (١٥٧)، فَجَعَلَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِشَارَتَهُ بِيَدِهِ كَنْطَقَهُ بِأَنَّ الْمُرَادَ القَتْلُ (١٥٨)، وَالْمُلْاحَظُ هُنْا ثَلَاثَةُ أُمُورٍ أَوْلُهَا: قِيَامُ الْحَرَكَةِ مَقَامَ الْكَلَامِ، وَثَانِيَهَا اعْتِمَادُهُ عَلَى دِلَالَةِ الصَّامِتِ الْحَرَكَيِّ فِي شَرِحِ الصَّائِتِ الْلَّفْظِيِّ، وَثَالِثُهَا أَنَّ الرَّاوِيَ الْأَمِينَ نَقَلَ الدَّلَالَتَيْنِ مَعًا، فَرَوَى الْخَدِيثُ بِلِفْظِهِ، وَالْحَرَكَةَ بِهِيَئَتِهَا.

وَمِنْ ذَلِكَ وَصَفْهُ الشَّرِيفُ لِسْتَرِقِي السَّمْعِ، وَهُوَ حَدِيثٌ طَوِيلٌ، فَقَدْ قَالَ: "وَمُسْتَرِقُو السَّمْعِ هَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ"، وَوَصَفَ الرَّاوِي بِكُفَّهٍ فَحَرَفَهَا، وَبَدَأَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ<sup>(١٥٩)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "وَفَرَّاجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنِي، نَصَبَهَا بَعْضًا فَوْقَ بَعْضٍ"<sup>(١٦٠)</sup>.

### **الْيَدُ الدَّاعِيَةُ الْمُتَطَلِّبَةُ:**

وَهِيَ حَرَكَةٌ دِينِيَّةٌ ذَائِعَةٌ لَنَا بِهَا عَهْدٌ، فَرَفَعُ الْيَدَيْنِ ذَوِ الِدَّلَالَةِ عَلَى الْطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ، وَالْتَّوْجِهُ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، وَهِيَ سُنْنَةٌ وَرَدَتْ عَنِ الرَّسُولِ، فَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَرْفَعُ يَدِيهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الْاسْتِسْقَاءِ، وَإِنَّهُ لَا يَرْفَعُ حَتَّى يُرِي بَيْاضَ إِبْطَيْهِ"<sup>(١٦١)</sup>، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: "ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطَيْهِ"<sup>(١٦٢)</sup>، وَفِي حَدِيثٍ ثالِثٍ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّهُ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: رَأَيْتُ بَيْاضَ إِبْطَيْهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرُأُ إِلَيْهِ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ"<sup>(١٦٣)</sup>.

## حرَّكاتٌ يَدُوِيَّةٌ مُركَبةٌ

وقد تَتَراكُبُ الْحَرَّاكُتُ، فَيَشَاءُ عَنْ ذلِكَ حَرَّاكَةٌ مُؤْتَلِفَةٌ مِنْ جَارِحتَينِ أَوْ أَخْثَرَ، مُؤَدِّيَةٌ إِلَى مَعْنَى مَخْصُوصٍ مُعِينٍ مِنْ هَيْئَةِ تَلَكَ الْحَرَّاكَةِ الْمُرْكَبَةِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ مِمَّا يَتَجَلَّ فِي الْلُّغَتَيْنِ: الصَّائِتَةُ وَالصَّامِتَةُ، فَفِي الصَّائِتَةِ كَلْمَةٌ وَاحِدَةٌ حَمَالَةٌ لَمَعْنَى إِشَارِيٍّ مُعْجمِيٍّ<sup>(١٦٤)</sup>، وَقَدْ تَتَراكُبُ الْكَلْمَاتُ، فَيَنْشَأُ مَا يُعرَفُ بِالْاقْتِرَانَاتِ الْلَّفَظِيَّةِ<sup>(١٦٥)</sup>، وَكَذَلِكَ الْحَرَّاكَةُ الْجَسْدِيَّةُ، فَمِنْهَا حَرَّاكٌ مُفَرَّدٌ، وَمِنْهَا حَرَّاكٌ مُتَرَاكِبٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَقَدْ كَانَ لَهَا ظُهُورٌ جَلِيلٌ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ، وَمِنْ ذلِكَ اقْتِرَانُ الْيَدِ بِالرَّأْسِ، وَمَسْحُ الْوَجْهِ بِالْيَدِ، وَأَخْذُ الْيَدِ بِالْيَدِ، وَالتِّقاءُ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ بِالْأُخْرَى، وَحَرْفُ الْوَجْهِ بِالْيَدِ، وَوَضْعُ الْيَدِ عَلَى الظَّهَرِ، وَغَيْرُ ذلِكَ مِنَ اقْتِرَانَاتِ حَرَّاكِيَّةٍ دَالِّةٍ عَلَى مَعَانٍ مَخْصُوصَةٍ عَلَى النَّحْوِ الْأَتَى:

### وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الرَّأْسِ: الْيَدُ الْحَامِيَّةُ الْمُغْطَّيَّةُ

وَهَذِهِ حَرَّاكَةٌ تَتَعَدَّدُ مَعَانِيهَا وَهِيَ مُنْسَلِخَةٌ مِنْ سِيَاقِهَا، فَقَدْ يَكُونُ الْمُتَعَيْنُ مِنْهَا أَنَّ مَنْ يَاتِيهَا بِهِ أَذْيَ مِنْ رَأْسِهِ، أَوْ أَنَّهَا تُلْمِحُ إِلَى التَّالِمِ، أَوْ غَيْرِ ذلِكَ، وَقَدْ حَمَلَتْ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ مَعْنَى آخَرَ، وَهُوَ حَمَامِيُّ الرَّأْسِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ فِي الْهَاجِرَةِ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: "خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ حَارٍ حَتَّى يَضْعَفَ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ..."<sup>(١٦٦)</sup>.

### أَخْذُ الْيَدِ بِالْيَدِ: حَرَّاكَةُ التَّلَازِمِ وَالصَّحبَةِ

وَلَيَسْ يَخْفَى أَنَّ تِلْكُمُ الْحَرَّاكَةَ قَدْ تَدْلُّ عَلَى التَّلَازِمِ، وَالصَّحبَةِ، وَالْتَّالِفِ، وَقَدْ وَرَدَتْ غَيْرَ مَرَّةٍ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ، وَمِنْ ذلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ أَخْذُ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ<sup>(١٦٧)</sup>، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يَنْضَافُ مَعْنَى آخَرُ، وَهُوَ مَعْنَى الْقِيَادَةِ وَالْهِدَايَةِ، وَقَدْ وَرَدَ ذلِكَ فِي حَدِيثِ الْمَعْرَاجِ، فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَفَرَّجَ صَدَرَهُ الشَّرِيفُ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِماءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ

**مُمْتَلِئٌ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِهِ ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ فَعَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ** (١٦٨).

وَقَدْ يَنْضَافُ إِلَى تِلْكُمُ الْمَعْانِي مَعْنَى مُتَعَيْنٍ مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَةِ، كَأَنْ يَكُونَ فِي أَحْذَانِ الْيَدِ بِالْيَدِ تَطْمِينًا وَتَسْلِيَةً، فَفِي يَوْمِ بَدْرِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قُبَّةِ يَدِهِ يَدْعُو مُلْحَانًا عَلَى رَبِّهِ مُتَضَرِّعًا قَائِلًا: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشَدْتُ عَهْدَكَ، وَوَعَدْتَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ تَشَاءْ أَلَا تُعْبَدَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَأَخْذَ أَبُو بَكْرَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةَ فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَكْمَةُ عَلَى رَبِّكَ..." (١٦٩).

### الْيَدُ الْمَاسِحَةُ الْمُسْكَنَةُ الْمُتَعَطِّفَةُ:

وَقَدْ يَكُونُ إِمْرَارُ الْيَدِ عَلَى الشَّيْءِ، إِنْ رَأْسًا، وَإِنْ وَجْهًا، وَإِنْ شَيْئًا آخَرَ، ذَا دِلَالَةً عَلَى مَعَانِ مَخْصُوصَةٍ؛ كَالْتَعَطُّفِ، أَوِ التَّهْدِيَةِ، أَوِ التَّسْلِيَةِ، أَوِ الْفَحْصِ، أَوِ التَّعْوِيدِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْحَرَكَةَ الْمُرْكَبَةُ ظَاهِرَةُ الْحُضُورِ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي فِيهِ بَيَانٌ عَنِ الْجِذْعِ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَلَمَّا وُضِعَ لَهُ الْمِنْبُرُ، تَجَافَى عَنْهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسُمِعَ لَهُ صَوْتُ كَصُوتِ الْعِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ الرَّسُولُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ (١٧٠)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ".

وَمِنْ تِلْكُمُ الدَّلَالَاتِ: أَعْنِي دِلَالَةً إِمْرَارِ الْيَدِ عَلَى الشَّيْءِ وَمَسْجِهِ، التَّلَاطُفُ وَالْمُبَارَكَةُ، فَقَدْ فَعَالَهَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "فَوَضَعَ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى رَأْسِي، وَأَخْذَ بِأَذْنِي يَفْتَلُهَا" (١٧١)، وَكَذَلِكَ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ تَشَكَّى بِمَكَّةَ شَكُورِ شَدِيدَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعْوُدُهُ، ثُمَّ وَضَعَ يَدِيهِ عَلَى جَبَهَتِهِ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى وَجْهِهِ وَبَطْنِهِ (١٧٢)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهُ كَانَ يُعُوذُ بِعَضْهُمْ بِمَسْحِهِ بِيَمِينِهِ، وَيُسْنَدُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "أَدْهِبِ الْبَاسَ، رَبِّ النَّاسِ، وَأَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ" (١٧٣)، وَهِيَ حَرَكَةٌ كَانَ يَأْتِيَهَا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَتْ يَدُهُ الشَّرِيفَةُ رَاقِيَةً مَاسِحةً مُطَمِّنَةً مُبَارِكَةً مُبَارِكَةً، فَقَدْ كَانَ يَنْفَثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرْضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعْوَذَاتِ، "فَلَمَّا ثَقَلَ كُنْتُ أَنَا أَنْفَثُ عَلَيْهِ بِهِنَّ، وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ نَفْسِهِ لِبَرْكَتِهَا" (١٧٤).

وقد يكون المُتعين من هذه الحركة المركبة الجس والشخص، وأشهر مَقَامِيَّاتِها تَفَحْصُ الطَّبِيبِ الْمَرِيضَ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَوْغُكُ وَعَكًا شَدِيدًا، "فَمَسَسْتُهُ بَيْدِي، فَقَلَّتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي تَوَعَّكُ وَعَكًا شَدِيدًا" (١٧٥)، ولَقَدْ قَامَ هَذَا الْمَعْنَى فِي نَفْسِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ حَرْكَتِهِ الَّتِي قَامَ بِهَا، فَكَانَتْ مَصْدَرًا مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى الْمَعْانِي، كَمَا الْأَفْظُرُ.

وقد يكون المقصid منها التَّعُودُ، وكثيراً ما كان النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَمْسَحُ النَّوْمَ بِيَدِيهِ الشَّرِيفَتَيْنِ عَنْ وَجْهِهِ، وقد بدأ ذلك في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ لَمَّا بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ خَالِتِهِ، "فَاسْتَيقِظْ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ" (١٧٦).

### ضَربُ الْيَدِ بِالْفَخِذِ:

وَهِيَ حَرْكَةُ مُرْكَبَةٍ تَعَيَّنَ فِيهَا التَّقْرِيرُ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّحْقِيقِ فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - طَرَقَهُ وَفَاطَمَهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَقَالَ: أَلَا تُصْلِّوْنَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: فَقَلَّتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا أَنْفَسْنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعْثَانًا، فَأَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعَهُ وَهُوَ مُدِيرٌ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (١٧٧).

وَبَعْدُ، فَحَرْكَاتُ الْيَدِ كَثِيرَةٌ، وَدِلَالُهَا مُتَعَدِّدَةٌ، وَأَنْزَلُهَا فِي التَّوَاصُلِ كَبِيرٌ كَبِيرٌ، وَحَسِبْنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ الإِشَارَةُ إِلَى كَوْنِهَا الْلَّغَةُ الرَّسِمِيَّةُ التَّوَاصِلِيَّةُ عِنْدَ الصَّمْ وَالْبُكْمِ، وَقَدْ كَانَتْ فِيمَا تَقْدِمُ بِيَانُهُ مُسَانِدَةً لِلْمَعْنَى الْمَنْطُوقِ، وَمُؤْكِدَةً، وَقَائِمَةً مَقَامُهُ، فَكَانَتْ نَائِبًا أَمِينًا عَنْهُ، كُلُّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى اسْتِرْجَاعِ مَقْوِلَةِ باكُو الَّتِي تَذَهَّبُ فِيهَا إِلَى عَالِمَيْهِ الْعِبَارَةِ: "يَتَحَدَّثُ بِيَدِيهِ" (١٧٨).



## مِنْ هَيْنَاتِ الْأَصَابِعِ وَدِلَالَتِهَا

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْبَحْثُ يَكادُ يَكُونُ فَرْعَاعًا عَنْ أَصْلِهِ، فَرْعَاعًا عَنِ اسْتِشْرَافِ هَيْنَاتِ الْيَدِ وَدِلَالَتِهَا، وَقَدْ ارْتَضَى الْبَاحِثُ أَنْ يُفْرِدَهُ عَنِ الْيَدِ نَظَارًا لِطُولِهِمَا مَعًا، وَتَشَعَّبِ دِلَالَتِهِمَا، وَقَدْ بَدَأَ لِي فِي نَرْسِ هَيْنَاتِ الْأَصَابِعِ فَخْلُلُهَا فِي إِقَامَةِ التَّوَاصُلِ غَيْرِ الْفَظْيَ أَوْلًا، وَالْإِبَانَةِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَعْنَى وَالْمُرْدَادَاتِ ثَانِيًّا، وَشَرَحِ الْمَعْنَى وَرَسَمْهَا وَتَشْكِيلِهَا عَلَى هَيْنَةٍ تَنْظَهُرُ فِيهَا الْمَعْنَى مُجْسَدًا مُحْسَنًا ثَالِثًا، وَقِيَامِ الْحَرَكَةِ مَقْامَ الْأَلْفَاظِ رَابِعًا، لِرَجَعِ النَّظَرِ فِي الْحَرَكَاتِ الْأَيْتَمِيَّةِ اسْتِشْرَافًا لِدِلَالَاتِ الْتِي تَقْعُّ تَحْتَهَا:

### حَرَكَةُ التَّلَازِمِ وَالصَّحَّبَةِ:

وَقَدْ بَدَأَ ذَلِكَ الْمَغْنِي فِي قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "كَيْفَ بِهَا وَقَدْ زَعمْتُ أَنَّهَا قَدْ أَرْضَعَتُكُمَا مَعًا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى" (١٧٩)، وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "أَنَا وَكَافِلُ الْيَتَمِّ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا، وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ... " (١٨٠)، وَلِعَلَّهُ يَحْسُنُ أَنْ يُسَرِّحَ الْخَاطِرِ لِنَتَخَيَّلَ أَنَّ سَامِعًا سَمَعَ قَوْلَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُنْسِلِحًا مِنْ سِيَاقِهِ، غَيْرِ مُخْصَصٍ بِالْحَرَكَةِ الْجِسْمِيَّةِ الْمُعْيَنَةِ لِدِلَالَةِ أَوِ الدِّلَالَاتِ، أَحْسِبُ أَنَّ نَصِيبِهِ مِنَ التَّوَاصُلِ مَعَهُ سِيكُونُ فِي أَسْفَلِ سَلْمٍ دَرَجَاتِ الْإِبَانَةِ، فَمَا الْمُتَعَيْنُ مِنْ "هَاتَيْنِ" ؟ وَإِلَى أَيِّ وُجْهٍ يَرْمِي بِهَاتَيْنِ ؟ وَأَئِنَّا بِاسْتِشْرَافِ مَقْصُورِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ رَمِيِّ النَّظَرِ فِي تَكْهُنٍ وَتَخْطُفَ، وَمِنْ هُنَّا يَتَخَلَّقُ فِي الْخَاطِرِ ثَانِيًّا وَثَالِثَةً وَرَابِعَةً أَنَّ الرِّسَالَةَ فِي شَطَرٍ كَبِيرٍ مِنْهَا لَا تَقُومُ فِي دِلَالَتِهَا الْكَلِيَّةِ عَلَى ظَاهِرِ الْفَظْ، وَأَنَّ النَّصَّ عِنْدَمَا يُنْقَلُ بَعْدًا، أَوْ عِنْدَمَا يَتَقادِمُ بِهِ الْعَهْدُ، فَيَصِيرُ مُعْمَرًا قَدْ تَغَافَلَ عَلَيْهِ الرَّزْمَانُ، يَفْقُدُ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا مِنْ مَحْمُولَاتِهِ الْدَّلَالِيَّةِ، وَمَرَامِي صَاحِبِهِ الْأَوَّلِ، أَمَّا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ فِي سِيَاقِهِ الْحَيِّ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّظَارَةَ وَشَهُودَ حَضُورَتِهِ الشَّرِيفَةِ رَأَوْا حَرَكَةً جِسْمِيَّةً أَفْضَلُ إِلَى تَعْيِنِ الْمَعْنَى عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْإِحْكَامِ، وَهُوَ مَعْنَى الصَّحَّبَةِ وَالْتَّلَازِمِ، وَمَلَّا جَاءَ الرَّاوِي فِي حَرَكَةٍ رِوَايَةُ الْحَدِيثِ لَمْ يَجِدْ بُدَّا مِنْ رِوَايَةِ الْحَرَكَةِ؛ إِذْ هِيَ عِمَادُ

الحديث، وعليها عقد الكلام، فكان ذلك بمتلئه حركته الشريفة التي عادها تلازم السبابة والوسطى واقترانهما معاً، ليكون حظ كافل اليتيم كما كان حظ سبابة ووسطاه الشريفتين من تلازم، فرويت الحركة بالكلمات تجلية وتحقيقاً للمعنى المراد، فأخيف على السياق الشريف الفاظ ذات دلالة توافق دلالة "الحركة"، إذ إن المعول عليه هو المعنى، وطرق تحصله، ورافد تغذيته متکاثرة متعلقة.

### حركة التلازم والترادف:

وقد تجلّت لكم الدلالة في حركته الواردة في قوله الشريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين من هذه، أو قال: كهاتين، وفرق بين السبابة والوسطى" (١٨١)، وفي رواية ثالثة: "رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال بإصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الإبهام" (١٨٢)، وفي رواية أخرى: "ويشير بإصبعيه، فيمد بهما" (١٨٣)، وليس يخفي أن تلك الحركة ذات دلالة على التلازم والترادف، وهو معنى قريب مما تقدمت مباحثته، فكان الساعة مرادفة في الوقت لرسالته، وقد جنح الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - إلى تمثيل ذلك المعنى عاماً إلى ملحوظ "الصمتيات"؛ ذلك أن مبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت، وهذا "باب تتقدم فيه الإشارة الصوت" (١٨٤)، فدلالة الحركة إذا متنقتة مع دلالة اللفظ، واللافت للنظر أن الراوي حمل الحديث بحركته، ونقله لنا بعدها، فوفى المعنى حقه في الرواية والنقل.

### حركة التفارق والبيان:

وقد يكون الأمر بالضد، فيعد المرسل إلى الإلماح بحركة أصابعه إلى التفارق والتبين، وهذه حركة مفارقة لما تقدم، بل ضدتها؛ ذلك أن تفريق الأصابع قد يكون فيه دلالة على تفريق ما المرسل متحدث عنه، وكأن ما كان بين الأصابع من افتراق قد وقع بين الأشياء المُعرج على ذكريها، ومن ذلك أن رجلاً لاعن امرأته، فقال بإصبعيه، وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى" (١٨٥)، والظاهر أنها حركة تمثيلية تستعار لالمبالغة بين الحديث المراي نقله، والحركة التي تصوّر ذلك الحديث.

## حرَّكةُ التَّدَالِّ وَالاخْتِلَاطِ:

وَقَدْ يُجْنِحُ إِلَى تَمْثِيلِ الْمَعْنَى وَتَصْوِيرِهِ تَصْوِيرًا جَسْدِيًّا قَائِمًا عَلَى هَيْئَةِ الأَصَابِعِ، فَمِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ؛ تَشْبِيهُهَا لِلِّدَلَالَةِ عَلَى تَدَالِّهَا وَتَعَاصِدِهَا، أَوْ اخْتِلَاطِهَا وَالْتِبَاسِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَالْحَرَّكَةُ هَذِهِ وَفَقًا لِلْمُتَقدِّمِ بَيَانُهُ، يَقْعُدُ تَحْتَهَا مَعْنَى، فَهِيَ مُشْتَرِكٌ حَرَكَيٌّ مُلِبِّسٌ إِذَا لَمْ يُعِينْ سِيَاقُهُ الَّذِي فِيهِ يَرُدُّ، وَالْمُفَارِقَةُ الْمُعِجَّبَةُ حَقًا أَنَّ هَذِينَ الْمَعْنَىيْنِ قَدْ وَقَعَا فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، أَمَّا الْمَعْنَى الْأَوَّلُ فَقَدْ وَرَدَ فِي قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا، وَشُبَكَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" <sup>(١٨٦)</sup>، وَالْمَعْنَى الْمُتَعَيْنُ مِنْ هَذِهِ الْحَرَّكَةِ أَنْ تَكُونُ مُرَايِفَةً فِي دِلَالِهَا لِدَلَالَةِ الْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ، فَهِيَ حَمَالَةٌ لِمَعْنَى التَّكَافِفِ وَالْتَّعَاطُفِ، وَأَمَّا الْمَعْنَى الْثَّانِي، وَهُوَ مَعْنَى الْإِخْتِلَاطِ وَالْتِبَاسِ <sup>(١٨٧)</sup>، فَقَدْ تَعَيَّنَ فِي قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "كَيْفَ يُكَلِّبُ إِذَا بَقِيَتِ فِي حُثَّالَةِ مِنَ النَّاسِ بِهَا، قَالَ: وَشَبَكَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَ أَصَابِعِهِ" <sup>(١٨٨)</sup>، وَالظَّاهِرُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ الْحَرَّكَةَ لَمْ تَكُنْ مُسَانِدًا، أَوْ مُعَزِّزًا لِلْمَجْرِيِ الصَّائِتِ، بَلْ كَانَتْ بَدِيلًا أَمْيَنًا مِمَّا يُرْدِي وَلَا يُسْمِعُ، وَالْبُوْنُ بَيْنَ الْحَرَكَتَيْنِ فِي الْحَدِيثَيْنِ، فَضْلًا عَنِ الْبُوْنِ الدَّلَالِيِّ الْمُتَعَيْنِ، أَنَّ دِلَالَةَ الصَّامِتِ الْحَرَكَيَّةِ فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ كَانَتْ رَافِدًا لِدَلَالَةِ الصَّائِتِ الْلَّفْظِيَّةِ، وَمُعَزِّزًا لَهَا، فَهِيَ تَوْكِيدٌ حَرَكَيٌّ قَائِمٌ مَقَامَ التَّوْكِيدِ الْلَّفْظِيِّ.

## حرَّكةُ الإِشَارَةِ وَتَعْيِينِ المَكَانِ:

وَكَمَا وَقَعَتْ إِشَارَةُ التَّعْيِينِ بِالْيَدِ عَامَةً، فَقَدْ وَقَعَتْ بِالإِصْبَعِ خَاصَّةً، وَكَثِيرًا مَا نَأَتِي هَذِهِ الْحَرَّكَةِ فِي أَدَاءِ اتِّنَا التَّوَاصِلِيَّةِ الْيَوْمِيَّةِ <sup>(١٨٩)</sup>، وَقَدْ غَدُتْ هَذِهِ الْحَرَّكَةُ لِكثْرَتِهَا، وَشُيوُعُهَا، وَعَالَمَيْتَهَا، مَثَلًا عَرَبِيًّا أَصْيَالًا، فَقَيْلَ: "فُلَانُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ" لِتَميِيزِهِ وَنُبُوغِهِ وَبَذِهِ أَقْرَانَهُ، وَالْحَقُّ أَنَّ "الْإِشَارَةَ بِالْيَدِ أَوِ الْأَصَابِعِ لِتَعْيِينِ شَيءٍ مَا (pointing)" هِيَ إِشَارَةٌ لَهَا أَهْمَيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ لِأَنَّهَا تُقْدِمُ حَلَالًا وَاحِدًا بِمُشَكَّلَةِ الْمَرْجِعِيَّةِ، أَيْ أَنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدَلَّ عَلَى مَا تَعْنِيهِ الْكَلْمَةُ بِالإِشَارَةِ إِلَى مَرْجِعِيَّتِهَا" <sup>(١٩٠)</sup>، وَقَدْ جَاءَتْ

هذِهُ الْحَرَكَةُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي قَالَ فِيهِ: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيلَ أَقْبَلَ مِنْ هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ، وَأَشَارَ بِإِصْبَاعِهِ قَبْلَ الْمَشْرِقِ" (١٩١)، وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ الَّذِي قَالَتْهُ الْمَرْأَةُ مِنْ حَدِيثِ طَوَيْلٍ لَمَّا أَتَتْ أَهْلَهَا بَعْدَ أَنْ احْتَبَسَتْ عَنْهُمْ، فَقَالُوا لَهَا مُسَائِلِينَ: مَا حَبَسَكَ يَا فَلَانَةُ؟ قَالَتْ: الْعَجْبُ، لَقِينِي رَجُلٌ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ إِلَى هَذَا الَّذِي يُقَالُ لِهِ الصَّابِيُّ، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَسْحَرُ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ هَذِهِ وَهَذِهِ، وَقَالَتْ بِإِصْبَاعِهِ الْوُسْطَى وَالسَّبَابَةِ، فَرَفَعَتْهَا إِلَى السَّمَاءِ، تَغْنَى السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ..." (١٩٢).

### حَرَكَةُ الْعَدْ وَالْحِسَابِ:

وَقَدْ تَجَلَّتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ بِحَرَكَةِ الْأَصَابِعِ كَمَا تَجَلَّتْ بِحَرَكَةِ الْيَدِ قَبْلًا، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ "قِيلَ لِلرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَعَمُوا أَنَّ عَامِرًا قدْ حَبَطَ عَمْلُهُ، قَالَ: مَنْ قَالَهُ، قَالَ: فُلَانُ، وَفُلَانُ، وَفُلَانُ، فَقَالَ: كَذَبَ مَنْ قَالَهُ، إِنَّ لَهُ لَأْجَرَيْنِ، وَجَمَعَ بَيْنَ إِصْبَاعِيهِ، أَنَّهُ لَمُجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ" (١٩٣)، وَلَنُلْهُظْ أَنَّ ثَمَّ تَوْكِيدَيْنِ فِي الْحَدِيثِ، أَحَدُهُمَا لَفْظِيُّ، وَثَانِيهِمَا حَرَكِيُّ، أَمَّا الْلَّفْظِيُّ فَقَدْ تَجَلَّ مَرَتَيْنِ: الْأُولَى فِي اسْتِعْمَالِهِ "إِنَّ" مَعَ الْلَّامِ الْمُزْحَلَقَةِ، وَكَذَلِكَ فِي تَكْرَارِ كَلِمَةِ "مُجَاهِدٌ" مَرَتَيْنِ، أَمَّا الثَّانِيَةُ، وَفِيهَا التَّوْكِيدُ الْحَرَكِيُّ، فَقَدْ ظَهَرَ فِي حَرَكَةِ إِصْبَاعِهِ الشَّرِيفَتِينِ الْمُؤَكِّدَتِينِ، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ تَتَقَيَّ الدَّلَالَاتِنِ: الصَّائِمَةُ الْلَّفْظِيَّةُ، وَالصَّامِتَةُ الْحَرَكِيَّةُ، وَإِنْ شِئْنَا فَلَنْقُلْ: الْكَلَامِيَّاتُ وَالصَّمَمِيَّاتُ فِي الإِبَانَةِ وَالتَّوَاصِلِ.

### الْأَصَابِعُ الْمُقْلَلَةُ:

وَالْحَقُّ أَنَّ هَذِهِ الْمُبَاخِثَةَ قَدْ عُرِجَ عَلَيْها فِي بَابِ الْقَوْلِ عَلَى الْيَدِ وَدِلَالَاتِهَا، وَلَكِنْ، لَهَا رِوَايَةُ أُخْرَى تُفْضِي إِلَى فُسْحَةٍ مِنْ إِلْحاقِهَا بِرُكِّبِ هَذِهِ الْمُبَاخِثَةِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى دِلَالَةِ الْأَصَابِعِ، فَقَدْ يَعْمَدُ الرَّءُوفُ إِلَى تَشْكِيلِ أَصَابِعِهِ تَشْكِيلًا مَقْصُدُ مِنْهُ التَّقْلِيلُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "فِي الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصْلِي يَسَائِلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَقَالَ بِيَدِهِ، فَوَضَعَ أَنْمَلَتَهُ عَلَى بَطْنِ الْوُسْطَى وَالْخَنْصَرِ، قُلْنَا يُرَهَّدُهَا" (١٩٤)، وَقَدْ شَرَحَ هَذِهِ الْحَرَكَةُ ابْنُ حِيرَ مُلْتَمِسًا دِلَالَاتٍ مُتَعَدِّدةٍ مِنْهَا، وَقَدْ تَجَلَّ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: "وَقَالَ بِيَدِهِ: أَيُّ أَشَارَ بِهَا، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ،

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ بِوُضُعِ الْأَنْمَلَةِ فِي وَسْطِ الْكَفِّ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ سَاعَةَ الْجُمْعَةِ فِي وَسْطِ يَوْمِ الْجُمْعَةِ، وَبِوُضُعِهَا عَلَى الْخِنْصِرِ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهَا فِي أَخْرِ النَّهَارِ؛ لَأَنَّ الْخِنْصِرَ أَخْرُ أَصْبَابِ الْكَفِّ" (١٩٥).

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ، أَعْنِي دِلَالَةَ التَّقْلِيلِ الْمُتَعِينَةَ مِنْ هَيْئَةِ الْأَصْبَابِ، أَنَّهُ "نَهَى عَنِ الْحَرِيرِ إِلَّا هَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَاعِهِ الَّتِي تَلِيَانِ الْإِبْهَامِ" (١٩٦)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "وَصَفَ لَنَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِصْبَاعَهُ، وَرَفَعَ زُهْرَيْ الْوُسْطِي وَالسَّبَّابَةَ" (١٩٧).

### حَرَكَةُ تَمْثِيلِ الْمَعْنَى:

وَقَدْ يَعْمَدُ الْمَرْءُ إِلَى أَصْبَابِهِ لِيُتَخَذِّلَهَا مَدْخَلًا إِلَى إِشَارَةِ تَعْيِينِ الْكَمِيَّةِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى رَبِيعَ بْنِ جَحْشٍ فَزِعًا مُهْلَلًا قَائِلًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلِلْلَّّٰهِ بِمِنْ شَرِّ أَقْتَرَبِ، فُتِحَ الْيَوْمُ رَدْمٌ يَاجْوَجَ وَمَأْجَوْجَ مِثْلَ هَذَا، وَحَلَقَ بِإِصْبَاعِهِ بِالْتِي تَلِيَاهَا" (١٩٨)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "عَقَدَ سُفَيَّاً تِسْعِينَ، أَوْ مِئَةً" (١٩٩)، وَفِي ثَالِثَة: "وَعَقَدَ وُهَيْبَ تِسْعِينَ" (٢٠٠)، وَقَدْ فَسَرَ ذَلِكَ ابْنُ حَجَرٍ بِقُولِهِ: "وَحَلَقَ بِإِصْبَاعِهِ الْإِبْهَامِ وَالْتِي تَلِيَاهَا، وَهِيَ صُورَةُ عَقْدِ التِّسْعِينَ، وَوِجْهُ إِنْخَالِهِ فِي التَّرْجِمَةِ أَنَّ الْعَقْدَ عَلَى صِفَةِ مَحْصُوصَةٍ لِإِرَادَةِ عَدِّ مَعْلُومٍ يَنْزَلُ مَنْزِلَةَ الْإِشَارَةِ الْمُفَهَّمَةِ فَإِذَا اكْتَفَى بِهَا عَنِ النُّطُقِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ دَلَّ عَلَى اعْتِبَارِ الْإِشَارَةِ مِنْ لَا يَقِيرُ عَلَى النُّطُقِ بِطَرِيقِ الْأَوْلِ" (٢٠١).

وَفِي إِشَارَةِ تَعْيِينِ الْكَمِيَّةِ تِلْكَ رَسْمُ الْمَعْنَى وَتَمْثِيلُهُ، وَفِيهَا، مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، تَقْدِيمُ لِلْدِلَالَةِ الْحَرَكِيَّةِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى مَطْلَبِ "الصَّمْفِيَّاتِ" عَلَى الدِّلَالَةِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى "الْكَلَامِيَّاتِ"، فَهِيَ "تُخْبِرُ بِطَرِيقِهِ مَا عَمَّا لَا يَسْتَطِعُ الْكَلَامُ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ، فَالنَّاسُ تَصْدِرُ عَنْهُمْ بِصُورَةٍ مُمِيَّزةٍ إِشَارَاتٌ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، وَالْتَّأْشِيرُ فِي الْحَقِيقَةِ يَنْقُلُ أَحْيَانًا مَعْلُومَاتٍ مَهْمَةً لَا يَحْمِلُهَا الْكَلَامُ، وَمَعْظَمُ النَّاسِ عِنْدَمَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ وَصْفُ شَيْءٍ مُلْتَوِّي لِجَاؤُونَ إِلَى تَمْثِيلِهِ بِالْيَدِ، وَعِنْدَمَا يُقَالُ شَيْءٌ مَعَ حَاجِبَيْنِ مَرْفَوْعَيْنِ - وَهِيَ مِنْ إِشَارَاتِ الْوَجْهِ - فَقَدْ يَكُونُ لِذَلِكَ مَعْنَى مُخْتَالٍ اخْتِلَافًا جَوَهِرِيًّا" (٢٠٢).



## هَيَّاْتُ عَامَّةٌ وَمُتَمَّمَاتٌ مُسَانِدَةٌ

لَعَلَّهُ يَحْسُنُ قَبْلَ الْوُلُوجِ فِي مُتَطَلَّبَاتِ هَذِهِ الْمُبَاخِثَةِ الْفَرْعَيْةِ تَجْلِيَةً الْمُرَادِ مِنْهَا وَمِمَّا يَتَعَيَّنُ مِنَ الْعُنُوانِ الْمَعْقُودِ لَهَا، فَالْمَقْصِدُ مِنَ الْهَيَّاْتِ الْعَامَّةِ الْأَخْوَالُ الَّتِي يَظْهُرُ عَلَيْهَا الْمَرْءُ فِي شَكْلِهِ الْخَارِجِيِّ الْعَامِ، وَمِنْ أَمْتَلِهَا الْمُخَصَّصَةِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا هَيَّاْتَةُ الْجِلْسَةِ، وَالْوِقْفَةِ، وَالْمِشِيَّةِ وَالْبَسَّةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَسِبُ إِلَى هَذِهِ الْمُبَاخِثَةِ الْمُنْتَسِبَةِ إِلَى التَّوَاصُلِ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ عَامَّةً، وَلِغَةِ الْجَسِيدِ خَاصَّةً.

لِتَرْجِعِ النَّظرِ فِي بَعْضِ الْهَيَّاْتِ الْعَامَّةِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ:

### هَيَّاْتُ الْبَسَّةِ :

مَا مِنْ شَكٌ أَنَّ هَيَّاْتَةَ الْلَّبَاسِ مُؤَذِّنَةٌ بِتَقْرِيرِ مَعَانِي تَقْوُمٍ فِي نَفْسِ الرَّائِينِ، أَوِ النَّظَارَةِ، فَقَدْ يَقْفَرُ فِي النَّفْسِ عِنْدَ مُشَاهِدَةِ هَيَّاْتَةِ شَخْصٍ فِي لِبَاسِهِ أَنَّهُ أَبْنَ طَبَقَةِ اِجْتِمَاعِيَّةٍ تُنَسِّبُ إِلَيْهِ الْعِلْيَةِ، أَوْ أَنَّهُ فَقِيرٌ، بَلْ قَدْ تَشَيَّعُ بِطَبَيْعَةِ عَمَلِهِ وَمَهْنِتِهِ، أَوْ بِعُمْرِهِ، أَوْ بِجِنْسِهِ، أَوْ بِسُلُوكِهِ، وَأَخْلَاقِهِ، وَبَعْضِ شَمَائِلِهِ، وَالْحَقُّ أَنَّ سَرَدَ الدَّلَالَاتِ الَّتِي تَتَبَنى عَلَى ذَلِكَ كَثِيرٌ يَضِيقُ بِهَا هَذَا الْمَقَامُ<sup>(٢٠٣)</sup>، وَمِنْ الدَّلَالَاتِ الَّتِي قَرَرَتْهَا هَيَّاْتُ الْبَسَّةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ:

### دِلَالَةُ التَّكْبِيرِ وَالْخِيَالِإِ :

وَالْحَقُّ أَنَّ إِظْهَارَ هَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ بِغَيْرِ سَبِيلٍ، وَمِنْهَا الْمِشِيَّةُ، وَهِيَ حَرَكَةُ جَسَدِيَّةٍ مَنْهِيَّ عَنْهَا، مَذْمُومٌ صَاحِبُهَا، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قَوْلِ الْحَقِّ - تَعَالَى - : ﴿وَلَا تَمِشُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالِفٍ فَخُورٍ﴾<sup>(٢٠٤)</sup>، وَقَدْ يَتَجَلَّ ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ هَيَّاْتَةَ الْلَّبَاسِ الَّتِي نَهَى عَنْهَا الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِقَوْلِهِ: "مَنْ جَرَ ثَوْبَهُ حُيَالَةً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٢٠٥)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "لَا يَنْظُرِ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَ إِزَارَهُ بَطَرًا"<sup>(٢٠٦)</sup>.

### دِلَالَةُ التَّبَذَّلِ وَالْفَقَرِ :

وَقَدْ تَشَيَّعَتْ هَيَّاْتَةَ الْلَّبَاسِ بِحَالِ صَاحِبِهَا فِي هَذِهِ الْجِهَةِ عَلَى وَجْهِ التَّعْيِينِ، وَقَدْ قَرَأَ هَذَا

المَغْنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ لَمَّا رَأَى أُمَّ الدُّرْدَاءِ، ذَكَرَ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - آخِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي الدُّرْدَاءِ، فَقَصَدَهُ سَلْمَانُ زَائِرًا مُسْلِمًا، "فَرَأَى أُمَّ الدُّرْدَاءَ مُتَبَذِّلَةً"، فَقَامَ فِي نَفْسِهِ هَذَا الْمَغْنِي الْمُتَخَلِّقُ مِنْ هَيْئَةِ لِبَاسِهَا، فَقَالَ لَهَا مُسْتَدِرِكًا وَفَاءً بِمَا قَامَ فِي نَفْسِهِ مِنْ بِلَالَةِ هَيْئَةٍ: "مَا شَأْنُكَ؟"، فَكَشَفَتْ لَهُ عَنِ الْعِلْمِ الْبَاعِثَةِ عَلَى هَيْئَةِ لِبَاسِهَا، وَالْوَاهِشِيَّةِ بِالْمُتَبَذِّلِ، قَائِلَةً: "أَخُوكَ أَبُو الدُّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا..." (٢٠٧)، فَاسْتَرَكَ سَلْمَانُ قَائِلًا: "إِنَّ لِرِبِّكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًا" (٢٠٨).

### دِلَالَةُ التَّنْعُّمِ وَالتَّرَفِ:

وَقَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ، فَتَشَيَّهُ هَيْئَةُ الْلِبَاسِ بِأَنَّ صَاحِبَهَا مِنْ أَهْلِ مَعِيشَةِ التَّرَفِ وَالرَّغْدِ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي حِدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَمَّا جَاءَ الْعَاصِمَ بْنَ عَمْرِو، وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ مُطَاعَمًا، "وَعَلَيْهِ حُلْلَةٌ حَبَرَةٌ، وَقَمِيصٌ مَكْفُوفٌ بِحَرِيرٍ" (٢٠٩)، وَهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَوْمَ أَسْلَمَ، فَمَنَعَ النَّاسُ مِنْ ابْنِ الْخَطَّابِ قَائِلًا: لَا سَبِيلٌ إِلَيْهِ، فَكَرِّ النَّاسُ مِنْ أَمَامِهِ (٢١٠).

### دِلَالَةُ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ وَإِظْهَارِهِ:

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ هَيْئَةً قُصِّدَ مِنْهَا إِظْهَارُ الْإِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ، وَهِيَ حَرَكَةٌ تَجَلَّتْ فِي سِيَاقٍ مَخْصُوصٍ جِدًّا، وَهُوَ سِيَاقُ الْإِسْتِسْقاءِ، فَقَدْ خَرَجَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمُصْلَى يُصْلِي، وَلَمَّا دَعَا اللَّهَ مُسْتَمْطِرًا اسْتَقْبَلَ الْقِبَلَةَ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ (٢١١)، وَفِي رِوَايَةِ: "فَلَبِّ رِداءَه" (٢١٢)، وَكَانَ فِيهَا إِظْهَارٌ مُنْتَهَى الْفَقْرِ إِلَى صَاحِبِ مُنْتَهَى الْغَنِي.

وَصَافَوْةُ الْمُسْتَخَلِصِ مِمَّا تَقْدَمَ أَنَّ هَيْئَةَ الْلِبَاسِ كَانَتْ لَهَا بِلَالَاتٌ مُتَعَدِّدةٌ فِي الْحَدِيثِ التَّبَوَّيِ الشَّرِيفِ، فَقَدْ كَانَتْ ذَاتِ دِلَالَةٍ عَلَى الْحَالِ النَّفْسِيَّةِ، كَالْتَكْبِرِ وَالْخِيَالِ، وَكَانَتْ ذَاتِ دِلَالَةٍ عَلَى الْحَالِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالْطَبَقَةِ، كَالْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ، وَكَانَتْ كَذَلِكَ ذَاتِ دِلَالَةٍ عَلَى أَحْكَامِ فِقَهِيَّةٍ تَشْرِيعِيَّةٍ، كَمَنْعِ جَرِ الإِزَارِ بَطَرًا، أَوْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، وَقَدْ ظَهَرَ الْمَغْنِي الْآخِرُ لَمَّا أَهْدَى الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى عُمَرَ حُلْلَةٌ سِيرَاءَ، فَرَآهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: "إِنِّي لَمْ أُرْسِلْ بِهَا إِلَيْكَ لِتَلْبِسَهَا، إِنَّمَا يَلْبِسُهَا مَنْ لَا خَلَقَ لَهُ" (٢١٣).

## هَيْئَةُ الْمِشِيَّةِ

وَلِلْمِشِيَّةِ هَيْئَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّىٰ عَنِ الدِّلَالَاتِ مُتَبَايِنَةٌ، وَقَدْ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْهَا النَّعَالِبِيُّ فِي "فَقْهُ الْلُّغَةِ" (٢١٤)، وَالنَّاظِرُ الْمُتَبَّرُ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ يَقِفُ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الدِّلَالَاتِ الْمُتَبَايِنَةِ بِتَبَانِ هَيْئَةِ الْمِشِيَّةِ، لِتَنْظَرُ فِي بَعْضِهَا:

### مِشِيَّةُ الْمَرِيضِ الْمُتَنَاقِلِ:

وَقَدْ ظَهَرَتْ هَذِهِ الدِّلَالَةُ فِي وَصْفِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَرْضِ مَوْتِهِ، فَقَدْ وَجَدْ فِي نَفْسِهِ خَفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادِي بَيْنَ اثْتَيْنِ، "وَرِجْلَاهُ تَخْطَانُ مِنَ الْوَجْعِ" (٢١٥)، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "كَأَنِّي أَنْظَرْ إِلَيْهِ يَخْطُ بِرِجْلِيهِ الْأَرْضَ" (٢١٦)، وَقَدْ وُصِّفَتْ هَذِهِ الْمِشِيَّةُ فِي "عِلْمِ الْحَرْكَةِ"، فَقَلِيلٌ: "الْخُطُوةُ الْمَائِعَةُ، السَّاقُ الْمُجْرَجَةُ، الْقَدْمَانُ الْمُشَقَّتَانِ، الْعَيْنُ الْغَامِضَةُ" (٢١٧).

### مِشِيَّةُ الْفَارِ الْمُفَزَّعِ:

وَمَا مِنْ رَبِّ إِنَّ لِلْفَارَ النَّاكِصِ هَيْئَةً مَخْصُوصَةً تَشِي بِحَالِهِ التِّي هُوَ عَلَيْهَا، فَفِي حَدِيثِ أَحْدٍ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أَنَّهُ قَالَ: "فَإِنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدَّنَ قَدْ بَدَتْ حَلَالِهِنَّ وَأَسْوَقُهُنَّ، رَافِعَاتِ ثِيَابَهُنَّ" (٢١٨).

### مِشِيَّةُ اصْطِنَاعِ التَّكْبِرِ وَالْتَّبَخْتُرِ:

وَهِيَ مِشِيَّةٌ مُسْتَقْبَحَةٌ مَذْمُومٌ صَاحِبُها، وَلَكِنَّ لَهَا سِيَاقاً أَخْرَ حَمِيداً أَثْنَى عَلَيْهِ الرَّسُولُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ قَصَدَهَا أَبُو دُجَانَةَ قَصْداً بَعْدَ أَنْ أَحَدَ السَّيِّفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَخْرَجَ عِصَابَةً فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ، ثُمَّ أَحَدَ يَتَبَخْتُرُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إِنَّهَا لِمِشِيَّةٍ يَبْغُضُهَا اللَّهُ إِلَّا فِي هَذَا الْمَوْطِنِ" ، وَفِي رِوَايَةِ أُخْرَى: "فَرَبَطَ عَلَى عَيْنِيهِ عِصَابَةً حَمْرَاءَ، فَرَفَعَ حَاجِبَيْهِ عَنْ عَيْنِيهِ مِنَ الْكِبْرِ، ثُمَّ مَشَى بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالسَّيِّفِ" (٢١٩).



## هيئة الجلسة

وَلِلْجَلْسَةِ هَيَّاتٌ وَأَوْضَاعٌ مُقَرَّرَةٌ فِي عِلْمِ الْحَرَكَيْةِ<sup>(٢٢٠)</sup>، وَمِنْ هَيَّاتِهَا فِي  
الْحَدِيثِ النَّبِيِّ الشَّرِيفِ:

### جلسة المتعلم المسترشد:

وَقَدْ وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِيهِ: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذَاتِ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدٌ بِيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدٌ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا  
يُرَى عَلَيْهِ أثْرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرُفُهُ مَنْ أَحَدُ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
فَأَسْنَدَ رُكْبَتِيهِ إِلَى رُكْبَتِيهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْدَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ  
الإِسْلَامِ... ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مُلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قَلَّتْ: اللَّهُ  
وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلٌ أَتَأْكُمْ يُعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ<sup>(٢٢١)</sup>.

لَيْسَ يَسْتَقِيمُ فِي الدَّهْنِ أَنْ يَذْهَبَ الظَّنُّ بِالْقَارِئِ إِلَى أَنْ أوصافَ الْحَرَكَاتِ  
الْجَسَدِيَّةِ الَّتِي أَتَبَّهَا رَاوِيُ الْحَدِيثِ قَدْ جَاءَتْ مِنْ بَابِ التَّرْيَدِ أَوِ الْفُضُولِ؛ ذَاكَ أَنَّهَا  
مُحْمَلَةٌ بِدِلَالَاتٍ مَخْصُوصَةٍ فِي سِيَاقِهَا الْخَاصِّ ذَاكَ، وَقَدْ شَهَدَ أَهْلُ الْحَاضِرَةِ مِنَ  
السَّائِلِ حَرَكَاتٍ دَالَّةً عَلَى فَضْلِ أَدِبِ الْمُتَعَلِّمِ الْمُسْتَرْشِدِ، فَلَمْ يَجِدْ جُلُوسُ جُلوسِ الضَّيْفِ، أَوِ  
الْأَكِيلِ، أَوِ الْمُسْتَوْفِزِ، لَا وَلَمْ يَقِفْ وِقْفَةً الْعَجِلِ، وَلَمْ تَصْدُرْ عَنْهُ إِشَارَاتٌ أَوْ حَرَكَاتٌ  
جَسَدِيَّةٌ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّهُ أَتَى مُفْتَحَنًا يُعَايِي الْأَذْهَانَ، بَلْ تَرَاجَعَتْ كُلُّ هَذِهِ الْاحْتِمَالَاتِ  
الدَّلَالِيَّةِ لِيَقُومَ مَقَامَهَا دِلَالَةُ جَلْسَةِ الْمُتَعَلِّمِ الْمُسْتَرْشِدِ، فَقَدْ جَلَسَ وَجَاهَ الرَّسُولِ  
الْكَرِيمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْنِدًا رُكْبَتِيهِ إِلَى رُكْبَتِيهِ دِلَالَةً عَلَى الْمُواجَهَةِ  
وَالْتَّلْقَيِ الْمُبَاشِرِ، وَوَضَعَ يَدِيهِ عَلَى فَخْدَيْهِ (أَيْ فَخْدَيِ السَّائِلِ)، تَحْقِيقًا لِطَلْبِ تَأْدِيبِ  
السَّائِلِ فِي حَضَرَةِ الْمَسْؤُولِ، وَالْمُفارِقَةُ الْمُجْبِبةُ حَقًا إِنَّهُمْ فِي "عِلْمِ الْحَرَكَيْةِ" وَ"الْغَةِ  
الْجَسِدِ" يَقِفُونَ عِنْدَ مَبْحِثِ "الْاِتْجَاهَاتِ" وَدِلَالَاتِهِ، وَلَعِلَّ الْهَيَّةَ الَّتِي جَاسَ عَلَيْهَا  
جِبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِمَّا يَنْتَسِبُ فِي مُصْطَلَحِهِمْ إِلَى "الْتَّشْكِيلِ الْمُغَلِّقِ"، فَفِيهَا  
يَكُونُ "الشَّخْصَانِ الْمُتَقَابِلَانِ عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الصَّدَاقَةِ وَالْخُصُوصِيَّةِ، وَالرَّازِوِيَّةِ"

المُتَشَكّلُ بَيْنَ جِدِعِيهِمَا تَتَقَلَّصُ مِنْ (٩٠) إِلَى صِفْرٍ (٢٢٢)، وَكَذَلِكَ كَانَ دُخُولُ جَبْرِيلَ إِلَى مَا يُسَمِّي فِي "عِلْمِ الْحَرَكَةِ" "الْمَنْطَقَةِ الْعَمِيقَةِ" أَو "الْحَمِيمِيَّةِ" (٢٢٣)، وَكُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَقْوُمُ فِي النَّفْسِ بِاعْتِهَا الْحَرَكَةُ الْجَسَدِيَّةُ الدَّالِلَةُ عَلَى مَعْنَى مَخْصُوصَةٍ، وَقَدْ أَمَحَ إِلَى هَذَا شَارِحُ الصَّحِيحِ قَائِلاً: "وَجَلَسَ عَلَى هَيْئَةِ الْمُتَعَلِّمِ" (٢٢٤).

### الانتقال مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ

قَدْ يَتَحَوَّلُ الْمَرْءُ فِي خَطَابِهِ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ أُخْرَى فِي جِلْسَتِهِ، وَلَعَلَّ الانتِقالَ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ بِوَاعِثَةٍ كَثِيرَةٍ، كَالانتِقالِ مِنْ مُسْتَوَى خَطَابِيٍّ إِلَى آخَرَ أَعْلَى مِنْهُ، فَيَنْعَكِسُ هَذَا التَّحْوُلُ الْخَطَابِيُّ عَلَى هَيْئَةِ الْجِلْسَةِ، فَيُعَدَّلُ فِيهَا، أَوْ مِنْهَا، وَهِيَ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ بِدِرْسِ الْالِفَاتِ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ (٢٢٥)، وَقَدْ التَّفَتَ الرَّوَادُ، عَلَى نَحْوِ مُعِجبٍ، إِلَى أَثْرِ ذَلِكَ فِي الإِبَانَةِ، وَجَذَبِ الْمُتَلَقِّي عَلَى نَحْوِ تَوَاصُلٍ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ عَنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَهِيَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعَقُوقُ الْوَالَّدَيْنِ، ثُمَّ لَمَّا أَتَى عَلَى الثَّالِثَةِ جَلَسَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَكَبِّلًا لِخُطْوَرَةِ مَا سَيِّرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْدَ الانتِقالِ مِنْ هَيْئَةٍ إِلَى هَيْئَةٍ: "أَلَا وَهُوَ قَوْلُ الزُّورِ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لِيَتَهُ سَكَنَ" (٢٢٦).

وَالظَّاهِرُ أَنَّ فِي تَكَارِهِا تَأكِيدًا لِفَظِيَّا، وَأَنَّ فِي تَعْدِيلِ الْجِلْسَةِ تَوْكِيدًا حَرَكَيًا مُبْتَدِيًّا عَنْ أَهْمَيَّةِ مَا سَيَأْتِي بِيَانُهُ، وَبِذَلِكَ تَضَافَرَتِ الدَّلَالَاتِ: الصَّائِتَةُ وَالصَّامِتَةُ فِي تَأْدِيَةِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ وَالْإِبَانَةِ، وَقَدْ أَتَى ابْنُ مَسْعُودٍ هَذِهِ الْحَرَكَةَ، وَهِيَ تَعْدِيلُ الْجِلْسَةِ، فَقَدْ جَاءَ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَتَاهُ، "وَكَانَ مُتَكَبِّلًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلِيقُلْ..." (٢٢٧).

وَمِنْ مِثْلِ مَا تَقَدَّمَ بُرُوكُ عُمَرٌ عَلَى رُبُكَيْتِهِ إِسْلَامًا، وَاسْتِسْلَامًا، وَإِقرارًا، فَكَانَتْ جِلْسَتُهُ بَعْدَ وُقُوفِهِ جِلْسَةً الْمُقْرَرِ الْمُعْتَرِفِ بِالْمُوقَنِ بِنْبُوَةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، فَعَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَرَجَ حِينَ رَأَغَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى الظَّهَرَ، وَذَكَرَ السَّاعَةَ، وَذَكَرَ فِيهَا أُمُورًا عِظَامًا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلَيْسَ أَلَّا، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبُرُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي هَذَا، فَأَكْثَرُ النَّاسُ فِي الْبُكَاءِ، وَأَكْثَرُ أَنْ يَقُولَ: "سَلُونِي"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مُمْتَحَنًا: مَنْ أَبِي، فَقَالَ: أَبُوكَ حَذَاقُهُ... فَبَرَكَ عُمُرُ عَلَى رُبُكَيْتِهِ وَقَالَ: رَضِينَا بِاللَّهِ رَبِّاً، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا... " (٢٢٨).

## هِيَئَتُهُ الشَّرِيقَةُ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ

وَكَانَتْ تَصْدُرُ عَنِ النَّبِيِّ إِيمَاءاتٌ وَحَرَكَاتٌ جَسْدِيَّةٌ ثَنِيَّةٌ مَنْ حَوْلَهُ بِأَنَّهُ يَوْحِي إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ فِي عَالَمٍ آخَرَ غَيْرِ عَالِمِهِ الَّذِي فِيهِ يَعِيشُونَ، وَالْحَقُّ أَنَّهَا إِيمَاءاتٌ وَعَلَائِمٌ مُتَعَدِّدَةٌ، فَقَدْ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً تَظَاهِرُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ جَوَارِحِهِ، وَمِنْ أَجْلَاهَا تَحْرِيكُ الشَّفَتَيْنِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يُحِرِّكُ شَفَتَيْهِ عِنْدَ نُزُولِ الْوَحْيِ<sup>(٢٢٩)</sup>، وَمِنْهَا مَا يَغْشِي وَجْهَهُ الشَّرِيفَ مِنْ عَلَامَاتٍ مَخْصُوصَةٍ؛ كَاحْمِرَارِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ وَصَفْهُمْ لَهُ: "فَأَدْخِلَ يَعْلَمُ رَأْسَهُ، فَإِذَا هُوَ مُحْمَرٌ الْوَجْهُ يَغْطِي"<sup>(٢٣٠)</sup>، وَمِنْهَا الغَطَيطُ، وَالْمَعْنَى المُتَعَيْنُ مِنَ الغَطَيطِ الصَّوْتُ، وَمِنْهُ غَطَيطُ النَّائِمِ، وَهُوَ تَرْدِيدُ حَيْثُ لَا يَجُدُ مَسَاغًا<sup>(٢٣١)</sup>، وَصَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّ الْحَرَكَةَ الْجَسْدِيَّةَ كَانَتْ مِنَ الدَّلَائِلِ الْهَادِيَّةِ إِلَى مَعْرِفَةِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ.



## هَيْئَةُ الْمَشَاكِسِ

وَفِي عِلْمِ الْفِرَاسَةِ يُشارُ إِلَى أَوْصَافِ جَسَدِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ تُفْضِي إِلَى القُولِ بِأَنَّ صَاحِبَهَا مُشَاكِسٌ سَيِّئُ الْخُلُقِ وَالسُّجْيَّةِ، وَأَنَّ آخَرَ نُوْ أَوْصَافِ حَمِيدَةٍ تُشَيِّبُ بِأَنَّهُ سَهْلٌ الْخُلُقُ لَيْتَهُ<sup>(٢٣٢)</sup>، وَفِي عِلْمِ الْحَرْكَةِ يُشارُ إِلَى هَيَّئَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ تُبَرِّزُ هَذَا الْمَعْنَى<sup>(٢٣٣)</sup>، وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ وَصَفُّ جَسَدِيٍّ لِشَخْصٍ يَمْرُقُ مِنَ الدِّينِ كَمَا تَمْرُقُ الرَّمْيَّةُ مِنَ السَّهْمِ، فَقَيْلٌ فِي وَصْفِهِ: "فَاقْبَلَ عَلَيْنَا رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشَرِّفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاتِيُ الْجَبِينِ، نَاشِرُ الْجَبَهَةِ، كُثُرُ الْلَّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمِّرُ الْإِزارِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اتَّقِ اللَّهَ، فَقَالَ مُسْتَدِرِكًا عَلَيْهِ، مُسْتَهِجِنًا مَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْهُ: "وَيَلَكَ، أَوْلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلَ الْأَرْضِ أَنْ يَتَقَبَّلَ اللَّهَ"<sup>(٢٣٤)</sup>، ثُمَّ أَرْدَفَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِلًا: "إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِيَّهُ هَذَا قَوْمٌ يَتَلَوَّنُ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمْيَّةِ، وَلَئِنْ أَدْرَكُهُمْ لَأَقْتَلَهُمْ قَتْلًا شَمُودًا"<sup>(٢٣٥)</sup>.

أَمَّا الْمُتَمَمَاتُ الْمُسَانِدَةُ فِي درس التَّوَاصُلِ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ فَهِيَ "الْإِكْسِسوَرَاتُ"، كَالنَّظَارَةِ، وَالسِّيْجَارَةِ، وَالسِّيْجَارِ، وَالقَلْمَ، وَالهَاتِفِ، وَالعَصَاصِ<sup>(٢٣٦)</sup>، وَالظَّاهِرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا تَمَدَّنَا بِمَعَانِي مَخْصُوصَةٍ؛ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَهَا تَوَابُعُ لِأَعْصَاءِ الْجَسِدِ الْمُوَمَّةِ، وَكَوَاشِفُ لِالْحَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَالْدَّهْنِيَّةِ الَّتِي تَغْتَرِي صَاحِبَهَا، فَهَيْئَةُ حَمِيلِ الْمَرْءِ قَلْمَهُ لَهَا دِلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ كَتَبَ، أَوْ يَكْتُبُ، أَوْ يَفْكُرُ مُطْرِقًا مُمْسِكًا بِقَلْمِهِ، وَقَدْ يَصُلُّ الْأَمْرُ أَحِيَانًا إِلَى قَضْمِ الْقَلْمِ<sup>(٢٣٧)</sup>، وَكَذَلِكَ اللَّعْبُ بِالْخَاتِمِ كَنْزِعِهِ وَإِدْخَالِهِ، أَوِ اللَّعْبُ بِرِبْطَةِ الْعُنْقِ، وَإِشْعَالُ السِّيْجَارَةِ، "فَإِيمَاءَاتُ التَّنَدُّخِينِ تُلْمِحُ إِلَى مَوْقِفِ الشَّخْصِ؛ ذَلِكَ أَنَّهَا تُمَارِسُ مُمارِسَةً طُقوسٍ يُمْكِنُ التَّبَيُّنُ بِمَعَانِيهَا، فَتَتَدَدَّمُ تِلَكَ الْهَيَّةُ إِشَارَةً تُعِينُ مَوْقَفَ الشَّخْصِ"<sup>(٢٣٨)</sup>؛ كَالْغَضْبِ، أَوِ السُّرُورِ، أَوِ الْقَلْقِ، وَأَهْمُّ هَذِهِ الْمُتَمَمَاتِ الْمُسَانِدَةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، وَيُخُصُّ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا لَهُ لُحْمَةٌ بِالْجَانِبِ الدَّلَالِيِّ التَّوَاصِلِيِّ، الْعَصَاصِ، وَالسُّوْطُ، وَالْمُخَصَّرَةُ، وَالْعَوْدُ، وَالْقِنَاعُ، وَالسَّيْفُ، وَالْطَّيْبُ، لِتَنَظَّرُ فِي دِلَالَاتِ مَا يَأْتِي بِيَانُهُ:

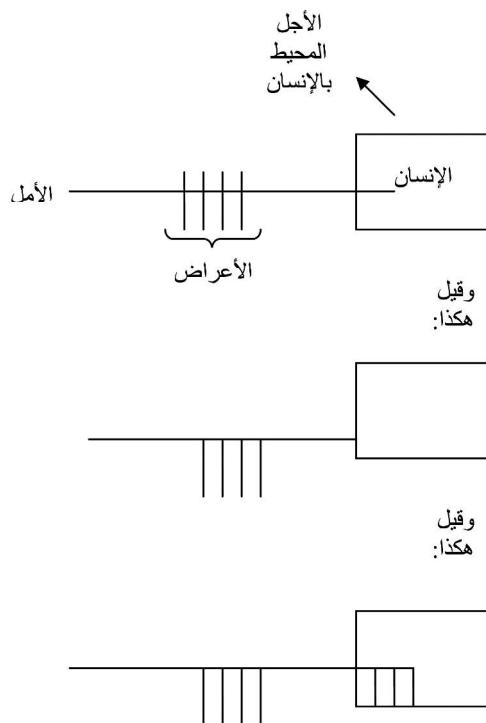


## العصا الشريفة

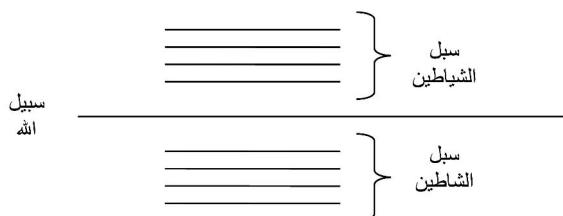
والمُتَدَبِّرُ لِلْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ الشَّرِيفِ يَجِدُ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِعَصَاهُ عَلَى أَدَاءِ مُرَادِهِ، وَتَعْيِينِ مَعَانِيهِ، فَقَدْ سَخَّرَهَا فِي بَعْضِ الْمَوَاقِفِ لِهَذَا الْغَرَضِ الدِّلَائِيِّ التَّوَاصِلِيِّ، وَالْحَقُّ أَنَّ مَفْهُومَ الْعَصَا وَاسِعٌ فِي الْحَدِيثِ، فَمِنْ ذَلِكَ "الْمُحَصَّرَةُ"، وَ"الْعُودُ"، وَ"الْعَصَا"، وَقَدْ ظَهَرَ بِهَا الْمَغْنِى مَرْسُومًا مَرَّةً، وَمَرَّةً مُمْثَلًا، وَمَرَّةً مُقْرَرًا مُؤَكَّدًا عَلَى الْهَيَّنَاتِ التَّالِيَّةِ:

### الْمَغْنِى مَرْسُومًا:

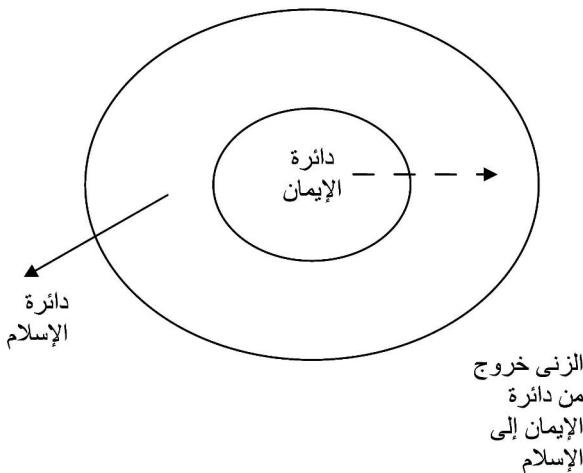
وَقَدْ كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ يُبَيِّنُ عَنْ مَقَاصِدِ كُلِّهِ وَرَسُومِ تَعَابِيرِهِ يَتَخَذُ وَسَائِلَ شَتَّى، وَسُبُّلًا تَوْضِيْحِيَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ رَسْمُ الْمَغْنِى الْمُرَادِ عَلَى الْأَرْضِ، وَفِي ذَلِكَ إِبَانَةُ غَيْرِ لَفْظِيَّةٍ ظَاهِرُ أَمْرُهَا، "فَالإِشَارَةُ مَبْنِيَّةُ أَسَاسًا عَلَى الْمُشَابِهَةِ التَّشْخِيْصِيَّةِ" (٢٣٩)، وَمِثَالُهَا أَنَّهُ "خَطٌّ مُرْبَعًا عَلَى الْأَرْضِ، وَخَطٌّ خَطًا عَلَى الْوَسْطِ، خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطٌّ خَطُطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: هَذَا إِنْسَانٌ، وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصَّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا" (٢٤٠)، وَفِي سُنْنِ ابْنِ ماجَةَ: "أَنَّهُ خَطٌّ خَطًا مُرْبَعًا، وَخَطًا وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرْبَعِ، وَخُطْوَطًا إِلَى جَانِبِ الْخَطِّ الَّذِي وَسَطَ الْخَطِّ الْمُرْبَعِ، وَخَطًا خَارِجًا مِنَ الْخَطِّ الْمُرْبَعِ، فَقَالَ: أَتَتْرُونَ مَا هَذَا: قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا إِنْسَانٌ الْخُطُوطُ الْأَوْسَطُ، وَهَذِهِ الْخُطْوَطُ إِلَى جَنِبِهِ الْأَعْرَاضُ تَنْهَشُهُ، أَوْ تَنْهَسُهُ، مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا أَصَابَهُ هَذَا، وَالْخُطُوطُ الْمُرْبَعُ الْأَجْلُ الْمُحِيطُ، وَالْخُطُوطُ الْأَخْرِجُ الْأَمْلُ" (٢٤١).



وَقَدِ اسْتَعَانَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالرَّسْمِ التَّمَثِيلِيِّ لِتَجْلِيهِ الْمَغْنِيِّ وَالْتَّقْسِيرِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: "خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّهِوْهُ وَلَا تَنِيْعُوا السُّبُل﴾ (٢٤٢).



وَفِي مِثَالٍ آخَرَ مُبِينٍ عَمّا أَنَا خَائِضُ فِيهِ سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ جَعْفُرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : " لَا يَرْزُنِي الرَّازِي حِينَ يَرْزُنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ " ، فَأَبَانَ عَنِ الْمَغْنِي الْمُتَعِينِ فِيهِ بِالرَّسِّمِ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ مَا نَتَعَارَفُ عَلَى تَسْمِيَتِهِ بِالْوَسَائِلِ التَّوْضِيَّةِ، فَعَدَا الْمُتَعِينَ مِنْهُ مَرْسُومًا، فَقَدْ أَدَارَ دَارَةً كَبِيرَةً فِي الْأَرْضِ، وَأَدَارَ فِي وَسْطِهَا دَارَةً صَغِيرَةً، وَقَالَ: الْكَبِيرَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالصَّغِيرَةُ هِيَ الْإِيمَانُ، فَإِذَا رَزَنِي خَرَجَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ كَفَرَ خَرَجَ مِنَ الدَّارَةِ الْكَبِيرَةِ إِلَى الشَّرِكَةِ وَالْكُفْرِ " (٢٤٣) .



### المَعْنَى مُمَثَّلًاً:

وَفِي تَوَاصِلِ حَرَكَيْ غَيْرِ لَفْظِيٍّ آخَرَ فَاءَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى عَصَاهُ فِي تَمْثِيلِ مَفْصِدِهِ، فَعَقَدَ مُقَابَلَةً بَيْنَ حَالَتَيْ مُقْرَرًا أَنَّ بَيْهُمَا وَجَهَ شَبِّهِ ظَاهِرٍ، وَابْتَدَرَ أَمْرَهُ بِتَمْثِيلِ الْمَعْنَى الَّذِي أَدَاهُ مَرَّتَيْنِ فِي الْحَدِيثِ نَفْسِهِ: مَرَّةً مُمَثَّلًا بِعَصَاهُ، وَأُخْرَى مَنْطُوقًا بِلَفْظِهِ الشَّرِيفِ، وَقَدْ ظَاهَرَ التَّوَافُقُ الدَّلَالِيُّ بَيْنَ الْحَرَكَاتِ التَّمْثِيلِيَّةِ وَمَا

أراد أن يوصله، ومثلاً لله "مر بِشَجَرَةِ يَاسِيَّةِ الْوَرْقِ، فَضَرَبَهَا بِعَصَاهُ، فَتَنَاثَرَ الْوَرْقُ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَتُساقِطُ مِنْ ذَنْبِ الْعَبْدِ كَمَا تُساقِطُ وَرْقَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ" (٢٤٤).

### المَعْنَى مُقْرَرًا وَمُحَقَّقًا:

وقد استعمل الرَّسُولُ الْمُحَمَّدُ وَفِي بَعْضِ الرَّوَايَاتِ الْعَوْدَ، فِي أَحَادِيثِهِ، وَالْمُحَمَّدُ شَيْءٌ يَأْخُذُهُ الرَّجُلُ بِيَدِهِ لِيَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ، مِثْلُ الْعَصَمِ (٢٤٥)، وَهُوَ أَيْضًا مِمَّا يَأْخُذُ الْمَلِكُ يُشَيرُ بِهِ إِذَا حَطَبَ، وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ:

يَكَادُ يُزِيلُ الْأَرْضَ وَقَعْ خَطَابِهِمْ      إِذَا وَصَلَوَا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَحَاصِرِ (٢٤٦)

وَقَدْ كَانَ الْمَقْصِدُ مِنْهَا التَّقْرِيرُ بِالْتَّقْدِيرِ، فَعَنْ عَلَيِّ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةِ فَأَخْذَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عُودًا فَجَعَلَ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعُدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ" (٢٤٧). وَقِيلَ: "كَانَ مَعَهُ مِحْصَرَةً، فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمِحْصَرَتِهِ" (٢٤٨).

## تَقْلُدُ السَّيِّفِ

وَتَقْلُدُ السَّيِّفِ حَرَكَةً تَنْتَسِبُ إِلَى بَابِ الْقَوْلِ عَلَى الْمُتَمَمَاتِ الْمُسَانِدَةِ، فَقَدْ يُقْصَدُ مِنْهَا التَّرَيْنُ، أَوِ الْجِدُّ، أَوِ التَّحْوُطُ وَالاحْتِرَازُ، أَوِ الْخَثُّ عَلَى الْحَرَبِ، وَقَدْ كَانَتْ لَهَا دِلَالَاتٌ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مِنْهَا الشَّجَاعَةُ وَالْإِقْدَامُ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، فَقَدْ فَزَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِيَلَةَ سَمِعُوا صَوْتًا، فَتَلَاقَاهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى فَرَسٍ وَهُوَ مُتَقْلِدٌ سَيِّفَهُ، فَقَالَ: لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا" (٢٤٩).



## تقْنُون الوجهِ

وَقِنَاعُ الْوَجْهِ مِنَ الْمُتَّمِمَاتِ الْمُسَايِدَةِ الْحَمَالَةِ لِلِّلَّالَاتِ؛ كَالْتَّسْتِرِ، أَوْ اتْقَاءِ الْبَرِدِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ أَتَاهَا الرَّسُولُ قَاصِدًا النَّسْتَرَ عَنْ عُيُونِ الْقَوْمِ، فَفِي حَدِيثِ الْهِجْرَةِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: "بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي بَيْتِنَا فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَقَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ مُقْبِلًا مُتَقْنِعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا" (٢٠٠).



## الإشارة بالسُّوْطِ

وكانت منه إشارةً بِالسُّوْطِ طَلَبًا لِلسَّكِينَةِ، وقد بدأ هذا في حديث ابن عباس لما دفع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم عرفة، فسمع النبي وراءه رجراً شديداً، وصرياً، وصوتاً للإبل، فأشار بِسُوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وقال: "أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُم بِالسَّكِينَةِ" (٢٥١)، والحق أنَّ الجاحظ قد جعل المخاصر والعصيَّ والسُّيَاطَ من المتممَاتِ التي تؤدي معاني تضادٍ إلى الألفاظ؛ إذ إنَّ المخاصر والعصيَّ من مَرافق الخطبة، وقد طاعت الشعوبية على العرب، بكلام مستكري يطول، أخذهم المخرسة والقناة والقضيب والإشارة به (٢٥٢)، وقد رد عليهم الجاحظ مُحاماً عن وجهة نظره فيها، وواجهه استعانة العرب بها في الإبانة والبيان، ومن ذلك أنَّ العرب كانت تشير بالعصا والقناة لِتقوم مقام اليد، وقد تكون موحيَّةً بأشياء أخرى، وقد تجلَّ ذلك - كما يرى الجاحظ - في قول الشاعر:

مَجَالُسُهُمْ خَفْضُ الْحَدِيثِ وَقُولُهُمْ  
إِذَا مَا قَضَوْا فِي الْأَمْرِ وَحْيُ الْمَخَاصرِ (٢٥٣)

والحق أنَّ الحديث عن المتممَاتِ المساندة يطول شرخه، ويتسع وصفه واستجلاء مثيله، فمنها الطيب والتطييب المتذوب الذي كان يداوم على إتيانه، فقد قيل في وصف شمائله الأثيرية: "وَلَا شَمَمْتُ رِيحًا قَطُّ، أَوْ عِرْفًا قَطُّ، أَطْبَبَ مِنْ رِيحِ النَّبِيِّ أَوْ عِرْفِهِ" (٢٥٤). وكذا السواك الذي قال عنه إنه مطهرة للفم، مرضاه للرب (٢٥٥). وكذا الرأس العصيُّ المنبيُّ عن مرض أفضى إلى ظهوره في تلك الحال (٢٥٦)، وغير ذلك كثير لا يتسع المقام له.



## الحرَّكةُ الْجَسْدِيَّةُ بَيْنَ أَدَاءِ الرُّسْلِ وَتَمْثِيلِ الرَّاوِيِّ الْأَمِينِ

لَعَلَّ أَحَدَنَا إِذَا مَا أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَ رِسَالَةً كَلَامِيَّةً حُمِّلَهَا إِلَى آخَرَ يَحْرُصُ عَلَى أَدَائِهَا كَمَا أُرِيدَ، وَلَعَلَّ الْأَمَانَةَ تَغْدُو أَنْقُلَ عِنْدَمَا تَكُونُ الرِّسَالَةُ مُحَمَّلَةً بِحَرَكَاتٍ جَسْدِيَّةً، مُشَتَّلَةً عَلَى إِيمَاءَاتٍ، وَدِلَالَاتٍ حَرَكَيَّةٍ، وَتَغْدُو الْأَمَانَةُ أَنْقُلَ وَأَنْقُلَ عِنْدَمَا يَكُونُ الْمُرَادُ تَوْصِيلُهُ رِسَالَةَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُتَمَثَّلَةُ فِي أَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، وَلِذَلِكَ نَهَدْتُ ثُلَّةً مِنَ الرِّوَاةِ الْأَمْنَاءِ وَالْأُووصِيَاءِ، فَنَقَلُوا لَنَا كَثِيرًا مِنَ الْأَحَادِيثِ مُلْفَتِينَ عَلَى نَحْوِ مُعْجِبٍ، وَعَيْنِ مُبْصِرَةٍ، إِلَى حَرَكَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، وَإِيمَاءَتِهِ، وَشَمَائِلِهِ، وَتَعَابِيرِ وَجْهِهِ، وَيَدِهِ، وَعَيْنِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، مُقْرِرِينَ سُهُومَتَهَا فِي الإِبَانَةِ، وَالْتَّوَاصِلِ؛ ذَلِكَ أَنَّ مَفْهُومَ الْحَدِيثِ لَمْ يَكُنْ مَقْصُورًا عَلَى لَفْظِهِ الشَّرِيفِ فَقَطُّ، وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى، كَانَ الرَّسُولُ يَسْتَعِينُ بِجَوَارِحِهِ، بَلْ كَانَ يُحْلِّهَا مَحَلَّ الْلَّفْظِ، فَتَكُونُ دَالَّةً كَمَا الْلَّفْظِ، بَلْ أَبْلَغَ فِي مَوَاضِعِ لِنَنْظَرٍ فِي ثَلَاثَةِ أَحَادِيثٍ:

- "إِذْ أَتَانِي أَتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ" (٢٥٧).

- "...الْتَّقْوَى هُنُّا" (٢٥٨).

- "ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَحَدَّتُكُمَا بِأَشْقَى النَّاسِ؟ قُلْنَا: بَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أُحَيِّمُرْ شَمَوْدَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ هَذِهِ، حَتَّى يَبْلُ مِنْهَا هَذِهِ" (٣٥٩).

لَعَلَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ فِي أَصْلِهَا الْمُتَقَادِمِ تَرَدَّدُ بَيْنَ قُطْبَيْنِ: لَفْظِي تُسْتَقِي مِنْهُ دِلَالَةُ، وَآخَرَ حَرَكَيَّ تُسْتَقِي مِنْهُ دِلَالَةُ أَيْضًا، وَقَدْ كَانَ مَنْ حَضَرَ مَجْلِسَهُ الشَّرِيفَ ذَاكَ مُدْرِكًا لِمَا أَرَادَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُسْتَعِينًا عَلَى تَعْيِينِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِالسَّيِّاقِ بِمِعْنَاهُ الْعَرِيضِ: الْحَالِيُّ وَالْمَقَالِيُّ، وَلَيْسَ يَخْفِي أَنَّ حَرْكَتَهُ الْجَسْدِيَّةَ هِيَ الَّتِي عَيَّنَتِ الْمَعْنَى وَخَصَّصَتْهُ، وَلَمَّا سَارَ الْحَدِيثُ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَمَّا تَنَاقَلَهُ الْرِّوَاةُ، وَلَمَّا انْسَلَخَ مِنْ سِيَاقِهِ الْحَيِّ - لَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذِلِكَ - كَانَ مَبْدُ الْاعْتِيَاضِ مَطْلَبًا رَئِيسًا مُؤْسِسًا لِتَعْيِينِ الدَّلَالَةِ لِلْلَّاحِقِينَ، فَهُمْ لَيْسُوا شُهُودَ الْحَاضِرَةِ تُلَكَ، لَا وَلَا مِنَ الَّذِينَ عَانَوْا حَرْكَتَهُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي جَاءَتْ لِتَعْيِينِ الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ، وَلَذَا اعْتَاضَ الرَّاوِيُّ فِي

روايته الحديث عن "الحركة" بالرواية، فقال مستدركاً مُجلّياً للحركة في الحديث الأول: "ما يعني به من ثغرة نحره إلى شعرته"، وفي الثاني: " وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرات..." (٢٦٠)، وفي الثالث: ووضع يده على قرنيه، حتى يبلّ منها هذه، وأحد بليته، ولعل هذا يؤذن بالوقوف عند مقوله العرب قبلًا، وبين جنّي بعدها: "ليس المخبر كالمعاين"؟ ذلك أن ثمّ أحوالًا شاهدة بالقصود، حالفه على ما في النفوس (٢٦١)، ومن ذلك حادثة "صك الوجه" التي هي حكاية شكاية امرأة على إسان شاعر: تقول - وصكت وجهها بيديها - أبعلي هذا بالرّحى المتقاعس؟!

وقد علق عليها ابن جنّي مستشفاً فضل روایة هذه الحركة الجسمية في تعزيز المعنى، فقد جعلت هذه الحركة الجسمية كالمنبهة على فرط التّعجب والإنكار والتعاظم، ولنا أن نتصور أن ثمّ مخبرًا، وأن ثمّ معايناً لهذا الحديث الكلامي، فمن ذا الذي يقنع اللغوي، أو ابن جنّي من قبل، أن دلالة الحديث القارء في نفس المعاين هي كالتالي عند المخبر؟!؛ إذ إن المعاين قد كان من شأنه أنه سمع الصاتات وعاين الصامت، أما المخبر فلم يكن له حظ إلا بالوصفي والتّمثيل من الصامت، "فلو قال حاكياً عنها: أبعلي هذا بالرّحى المتقاعس - من غير أن يذكر صك الوجه - لأنّ علمنا أنها كانت متعجبة متذكرة، لكنه لما حكي الحال، فقال: "وصكت وجهها" عُلِم بذلك قوّة إنكارها، وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتّها لكنت بها أعرف، ولعظيم الحال في نفس تلك المرأة أبين،... ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاظم الأمر لها" (٢٦٢).

وقد ظهرت روایة الحركة في الحديث الشريف بلفاظ مخصوصة أشهرها:

- "وقال يكذا" ، وهي روایة للفعل بالقول، وروایة للحركة بالكلمة، ولذلك كثر قول الرّاوي الأمين النّاقل للحركة، والممثل لها بكلماتٍ من خاص لفظه: "فقال بيده" (٢٦٣)، و"قال برأسيه" (٢٦٤)، و"قال بإصبعه" (٢٦٥)، و"قال هكذا" (٢٦٦).

ومن ألفاظها المثلثة "هكذا" ، والمعلوم أن هكذا مقررة للهيئة، معيينة للحال، ومن ذلك " مرّ على أنفه هكذا" (٢٦٧)، و"فجعل بها هكذا" (٢٦٨).

وَمِنْ الْفَاظُهَا "هَذَا" ، أَوْ "بِهَذَا" ؛ كَقُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : "إِنَّ اللَّهَ لَا يُعِذِّبُ بِدَمَعِ الْعَيْنِ، وَلَا بِحَزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعِذِّبُ بِهَذَا، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ" (٢٦٩) . وَمِنْ الْفَاظُهَا صَرِيحُ الشَّرْحِ وَالثَّمَثِيلِ، كَانَ يَعْمَدُ الرَّاوِي إِلَى شَرِحِ الْحَرَكَةِ وَتَمَثِيلِهَا وَتَحْوِيلِهَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى مَنْطُوقٍ مَوْصُوفٍ بِالْكَلِمَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حُكْمَةٍ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، "فَاتَاهُنَّ وَمَعْهُ بِلَالٌ نَاشِرًا ثَوْبَهُ، فَوَاعْظَهُنَّ وَأَمْرَهُنَّ أَنْ يَتَصَدَّقُنَّ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تُلْقِي" (٢٧٠) ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَفْعُولَ بِهِ لِـ "تُلْقِي" مَحْذُوفٌ نُطْقاً، مَذْكُورٌ حَرَكَةً وَتَمَثِيلًا، وَلَا حُمْلًا هَذَا الْحَدِيثُ، وَأَرِيدَ نَقْلُهُ وَرَوَايَتُهُ، كَانَ لَا بَدَّ مِنْ ذِكْرِ الْمَفْعُولِ بِهِ الَّذِي هُوَ فِي أَصْلِهِ حَرَكَةٌ جَسَديَّةٌ، فَلِذَلِكَ قَالَ الرَّوَايَى: "وَأَشَارَ إِلَى أَذْنِهِ وَإِلَى حَلْقِهِ" (٣٧١) ، وَالْمَعْنَى: أَخَذَتِ النِّسَاءُ تُلْقِي الذَّهَبَ الَّذِي هُوَ فِي آذَانِهِنَّ وَحُلُوقَهُنَّ.



## المصنفون والتواصل غير اللفظي

وَقَدْ يَقُولُ فِي النَّفْسِ مُساعِلٌ عَنْ دَوْرِ الْمُصْنَفِينَ فِي مَظَانِ الْحَدِيثِ فِي دَرْسِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ التَّقَوْا إِلَيْهَا كَمَا التَّقَتُ الرِّوَاةُ مِنْ قَبْلُ، فَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الورقةِ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ، وَهُوَ مَأْخوذٌ مِنْ كُتُبِهِمُ الْمُصْنَفَةِ، وَإِذَا مَا أُرْجِعَ فِيهَا النَّظَرُ؛ أَعْنِي فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي تَتَهَرُّ فِيهَا الْحَرَكَاتُ وَالْإِيمَاءَاتُ، فَإِنَّهَا تُقْسَمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَحَادِيثُ اشْتَمَلَتْ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ عَامَةً، وَالْحَرَكَاتُ الْجَسَدِيَّةُ خَاصَّةً، فَأَنْتَبَتْ كُلُّ حَدِيثٍ فِي بَابِهِ تَحْتَ عُنوانِ يَكُفُّهُ، فَكَانَتْ مُفَرَّقَةً فِي أَبْوَابٍ مُتَنَاثِرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ بِاِختِلافِ الْمَوْضِوِعِ الْمَعْقُودِ لَهُ ذَلِكَ الْعُنوانُ. وَالثَّانِي أَحَادِيثُ اشْتَمَلَتْ عَلَى حَرَكَاتٍ جَسَدِيَّةٍ فَجُمِعَتْ فِي قُرْحَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَنْتَبَتْ تَحْتَ بَابٍ اِرْتَضَى لَهُ الْمُصْنَفُ عُنوانًا قَائِمًا بِرَأْسِهِ، وَمِنْ ذَلِكَ "بَابُ الإِشَارَةِ فِي الصَّلَاةِ" (٢٧٢)، وَ"بَابُ الإِشَارَةِ بِالسَّكُوتِ" (٢٧٣)، وَ"بَابُ الإِشَارَةِ بِرَدِ السَّلَامِ" (٢٧٤)، وَ"بَابُ الإِشَارَةِ فِيمَا يَنْبُوُهُ فِي صَلَاتِهِ يُرِيدُ بِهَا إِفْهَاماً" (٢٧٥)، وَ"بَابُ الإِشَارَةِ" فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، وَمِنْ ذَلِكَ الإِشَارَةُ فِي الطَّلاقِ وَالْأَمْوَارِ، وَقَدْ جَمَعَ فِيهِ الْبُخَارِيُّ نَمَاذِجَ فَاقِعَةَ الدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ خَاصَّةً، وَالْتَّوَالِصُّ غَيْرِ الْلَّفْظِيِّ عَامَةً، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَخْرَسَ "قَدْ يَقْدِفُ امْرَأَهُ بِكِتَابَةِ، أَوْ إِشَارَةِ، أَوْ بِإِيمَاءَ مَعْرُوفِ، فَهُوَ كَالْمُتَكَلِّمُ، لَأَنَّ النَّبِيَّ قَدْ أَجَازَ الإِشَارَةَ فِي الْفَرَائِصِ" (٢٧٦)، وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ - كَمَا يَقُولُ الْبُخَارِيُّ - إِلَى أَنَّ الطَّلاقَ قَدْ يَقْعُ بِكِتَابٍ، أَوْ إِشَارَةٍ، أَوْ إِيمَاءٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا قَالَ: أَنْتِ طَالِقٌ وَأَشَارَ بِأَصْبَاغِهِ إِشَارَةً تُبَيِّنُ مِنْهُ بِإِشَارَتِهِ فَقَدْ مَضَى الطَّلاقُ، وَقَالُوا: إِذَا كَتَبَ الْأَخْرَسُ الطَّلاقَ بِيَدِهِ لَزَمَهُ، وَإِذَا قَالَ الْأَصْمُ وَالْأَخْرَسُ بِرَأْسِهِ جَازَ (٢٧٧).



## المَقْوَلَاتُ الْكُلِّيَّةُ

لَعْلَهُ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ هَذَا الْعَرْضِ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فِي الْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ الشَّرِيفِ نَمَطًا تَوَاصِلِيًّا يُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّى "لُغَةُ الْجَسَدِ"، أَوِ "الْتَّوَاصِلُ غَيْرُ الْلُّفْظِيِّ"، وَجُلُّ مَا تَقْدِمُ قَبْلًا مِنْ دِلَالَاتٍ وَهَيَّاءٍ وَحَرْكَاتٍ كَانَ نَمَادِجٌ جُزْئِيَّةٌ يُرَاوِدُ مِنْهَا تَجْلِيَّةُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ عَامَّةً، وَبِيَانٍ بَعْضِ تَجْلِيَّاتِهَا فِي الْحَدِيثِ خَاصَّةً، وَالَّذِي يَأْتِي عَقْبَ ذَلِكَ هُوَ الْمُوجَهَاتُ الْكُلِّيَّةُ الَّتِي تَجْمَعُ نَثَارَ ما تَقْدِمُ، وَتَجْعَلُهُ كَالْعِقْدِ الَّذِي يَنْتَظِمُهُ سِلْكٌ جَامِعٌ لِأَشْتَاتِهِ:

أَوْلُهَا أَنَّ الْمَبْثُوثَ فِي هَذِهِ الْوَرْقَةِ قَلِيلٌ قَلِيلٌ بِالْغَةِ مِنْ كَثِيرٍ كَثْرَةً ظَاهِرَةً، وَالْمَقْصُدُ مِنْ ذَلِكَ كُلُّهُ التَّعْرِيفُ بِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ أَوْلًا، وَتَلْمِسُهَا فِي الْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ الشَّرِيفِ ثَانِيًّا، وَالتَّعْرِيفُ عَلَى أَجْلِ شَوَاهِدِهَا، وَمَوَاضِعِ تَمَثِيلِهَا فِيهِ ثَالِثًا، وَبِيَانٍ فَضْلِهَا فِي إِقَامَةِ الْتَّوَاصِلِ وَالْإِبَانَةِ وَالْبَيَانِ وَالْتَّبَيِينِ رَابِعًا.

وَثَانِيَهَا أَنَّ مِنَ الْهَيَّاءِتِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَامَّةً، وَهَذِهِ الْوَرْقَةُ خَاصَّةً مَا هُوَ عَالَمٌ يَرِيُنَ عَلَيْهِ إِلَفُ أَبْنَاءِ الْبَشَرِ، فَيَعْرِفُونَ مَعْنَاهُ مَعْرِفَةً جَمْعِيَّةً يَنْعَقِدُ إِجْمَاعُهُمْ عَلَيْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَعْانِي الْعَالَمِيَّةُ الَّتِي تَظَهُرُ فِي الْوَجْهِ، كَالْفَرَحِ، وَالْحُزْنِ، وَالْخَوْفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْهَا هُوَ مَا خَاصٌ أَوْ مَا هُوَ مُنْتَسِبٌ إِلَى خَاصِ الْخَاصِ، كَالْحَرْكَاتِ الْدِينِيَّةِ الْحَمَالَةِ لِدِلَالَاتِ.

وَثَالِثُهَا أَنَّ مِنَ الْهَيَّاءِتِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ عَامَّةً، وَهَذِهِ الْوَرْقَةُ خَاصَّةً مَا هُوَ تِلْقَائِيٌّ يَظَهُرُ عَلَى الْجَوَارِحِ دُونَ تَعْمُلٍ أَوْ اجْتِلَابٍ؛ كَالذِي رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ مِنْ مَعْانِي الْفَرَحِ، أَوِ الْغَضَبِ، وَأَنَّ مِنْهَا هُوَ مُجْتَلِبٌ مُسْتَدْعِيٌّ قَصْدًا لِحَاجَاتِ فِي النَّفْسِ شَتَّى، كَتَشْبِيَكِ الْيَدَيْنِ فِي رَسْمِ صُورَةِ الْبُنْيَانِ المَرْصُوصِ، وَمَا شَاكَلَهَا مِمَّا يُعْدُ مَقْصُودًا مُجْتَلِبًا غَيْرَ تِلْقَائِيٌّ أَوْ فِطْرِيٌّ.

وَرَابِعُهَا أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ عَوَّلَ عَلَيْهَا فِي تَوَاصِلِهِ مَعَ مَنْ حَوْلَهُ، وَقَدْ أَفْضَلَ جَوَارِحُهُ الشَّرِيفَةُ بِحَرْكَاتٍ مَخْصُوصَةٍ إِلَى التَّغْبِيرِ عَنْ

مَقاصِدِهِ، فَكانتْ ناطقَةً حِينًا، وَمُساندَةً لِلنَّطْوَقِ حِينًا آخَرَ، وَمُجْلِيَّةً لَهُ حِينًا ثالِثًا، وَقَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَصْدِرًا مِنْ مَصَادِرِ الْمَعْنَى الَّذِي يَقُولُ فِي نَفْسِهِ عِنْدَمَا كَانَ يَقْرُؤُهَا فِي إِيمَاءاتِ مَنْ هُوَ أَمَامَهُ، وَقَدْ تَقدَّمَ قَبْلًا التَّمثِيلُ عَلَى ذَلِكَ كُلُّهُ.

وَخَامِسُهَا التِّفَاتُ الرَّوَاةِ الَّذِينَ نَهَدوْا لِحَمْلِ الْحَدِيثِ التِّفَاتَاتِ مُعْجِبَةً إِلَى الْحَرَكَاتِ الْجَسْدِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ عَمَّنْ كَانَ بِخَضْرَتِهِ، وَلِذَلِكَ كُلُّهُ كَانَ مِنْهُمْ رِوَايَةً لِلْحَدِيثِ الشَّرِيفِ رِوَايَةً حَرَكَةً وَرِوَايَةً لَفْظًا، فَجَمَعُوا فِي نَقْلِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَ رِوَايَةِ الْكَلَامِيَّاتِ وَرِوَايَةِ الْحَرَكَيَّاتِ عِلْمًا مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ شِقَانٌ مُتَلَازِمَانِ فِي الدَّلَالَةِ وَالْإِبَانَةِ، وَوَفَاءً بِالْمَعْنَى الَّذِي أَدَّاهُ الرَّسُولُ بِالسَّبَبِيَّينِ: الصَّائِتُ الْمَنَطُوقُ، وَالصَّامِتُ الْحَرَكَيُّ، وَلِذَلِكَ نَقَلُوا الْحَرَكَاتِ بِخَاصَّ لَفْظِهِمْ، وَحَوَّلُوهَا مِنْ حَرَكَاتٍ مَرئِيَّةٍ مُشَاهِدَةٍ فِي الْحَدِيثِ الْكَلَامِيِّ الْحَيِّ إِلَى حَرَكَاتٍ مَنَطُوقَةٍ مَرْسُومَةٍ مُمْثَلَةٍ بِالْكَلِمَاتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَحْمُولِ وَالْمَنْقُولِ.

وَسَادِسُهَا التِّفَاتُ الْمُصْنَفِينَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ إِلَى الْهَيَّاتِ الْحَرَكَيَّةِ عَامَّةً، وَبَابِ الإِشَارَةِ خَاصَّةً، فَعَقَدَ بَعْضُهُمْ لَهَا؛ أَعْنَى الإِشَارَةِ، بَابًا قَائِمًا بِرَأْسِهِ بَيْنَ أَبْوَابِ الْأَحَادِيثِ الْمَجْمُوعَةِ إِشَارَةً مِنْهُمْ إِلَى أَنَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ النَّبُوِّيِّ الشَّرِيفِ الَّذِي يُحرَصُ عَلَى رِوَايَةِ حَرَكَتِهِ كَمَا يُحرَصُ عَلَى رِوَايَةِ لَفْظِهِ.

وَسَابِعُهَا أَنَّ هَيَّاتِ الْجَوَارِحِ وَدِلَالَاتِهَا الْوَارِدَةَ فِي هَذِهِ الْمُبَاحَثَةِ يُمْكِنُ أَنْ تُسْبِطَنَ مِنْ وُجُهَاتِ مُتَبَايِنَةٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوِجْهَةُ الدَّلَالِيَّةُ، وَالْوِجْهَةُ التَّوَاصِلِيَّةُ، وَالْوِجْهَةُ التَّشْرِيعِيَّةُ، وَالْوِجْهَةُ النَّفْسِيَّةُ، أَمَّا مِنَ الْوِجْهَةِ الدَّلَالِيَّةِ فَقَدْ بَدَا أَنَّ لِلْهَيَّاتِ وَظَانَفَ مُتَبَايِنَةً، فَقَدْ تَكُونُ رَافِدًا مُعَزِّزًا لِلْمَعْنَى الْمَنَطُوقِ، وَقَدْ تَكُونُ نَائِبًا أَمِينًا يَقُولُ مَقَامَهُ، فَيُؤَدِّي غَرَضَهُ، وَقَدْ تَكُونُ مُؤَكِّدَةً وَمُمْثَلَةً لِمَعْنَاهُ الْمَنَطُوقِ بِالْمَعْنَى الْمُحْسَنِ وَالْمُمْثَلِ بِالْحَرَكَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ موْجِرَةً مُخْتَصِرَةً كَمَا الْمَحَّ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ بِقَوْلِهِ: "هُوَ أَنْ يَكُونَ الْلَّفْظُ الْقَلِيلُ دَالِلاً عَلَى الْمَعْنَى الْكَثِيرِ، حَتَّى تَكُونَ دِلَالَةُ الْلَّفْظِ كَالْإِشَارَةِ بِالْيَدِ، فَإِنَّهَا تُشَيرُ بِحَرَكَةٍ وَاحِدَةٍ إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ لَوْ عُبَّرَ عَنْهَا بِاسْمَائِهَا احْتاجَتْ إِلَى عِبَارةٍ طَوِيلَةٍ، وَالْأَفَاظُ كَثِيرَةٌ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِيْجَازِ أَنَّ الْإِيْجَازَ بِالْأَفَاظِ الْمَعْنَى الْمَوْضِوعَةِ

له، وألفاظ الإشارة لحمة دالة، فدلالة اللفظ في الإيجاز دالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إنما دالة تضمن، أو دالة التزام<sup>(٢٧٨)</sup>، ولذلك كلُّه فإنَّ الحركات الجسدية والهيئات في هذا الدرس، أعني درس التواصل غير اللفظي في الحديث النبوي الشريف عرَّرت، وسَدَّتْ، وأكَّدتْ، وشرحَتْ، ومثلَّتْ، وخَصَّرتْ.

أما من الوجهة التواصلية فقد بدأ أنَّ الحركات الجسدية شطر رئيس في درس التواصل غير اللفظي، وكثرة الشواهد المنشورة في هذه الورقة تغنى عن تكرارها هنا. أما من الوجهة النفسية فقد كانت الحركات والهيئات الجسدية دوال براينية على أحوال أصحابها الجوانين، وكواشف عن معانٍ مكونة يمكن أن يُفسح المرء عنها إفصاح نُطُقٍ، وهذا هو مضمار اللغة الصاتنة والكلاميَّات، وإفصاح حركة، وهذا هو مضمار الصفتيات والحركيات. أما من الوجهة التشريعية فإنَّ تامس هذه الهيئات، وتكليب النَّظر فيها، في الحديث النبوي الشريف من الدواعي المقررة بالتشريع حلاله وحرامه.

ونامنها التَّعرِيُّج على مثالٍ يكاد يكون جامعاً لجلٍ ما تقدَّم من حركات ودلائل ومتّمات و هيئات، وهو حديث وفاة الرَّسول، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أثبتت بعض معايله، وها آنذاك أجمع مُتفَرِّقه، وألمِّم نثاره من صحيح البخاري عامَّة، وهذه المباحثة خاصة، أما الحركات فقد كانت من اليَدِ، والرَّأسِ، والعينِ، والقدمِ، وأما الدلالات فمتعددة، فالرَّأسُ الشَّرِيفُ قد سُئِلَ فأجاب "نعم"، والعين طلبَ السَّوَالَ فاستجيبَ، واليَدُ أمرَتْ أبا بكرَ بِالْكُثُّ مكانه وهو قائمٌ يُصلِّي، وأمرَتْ نساءه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنْ كفى فقد فعلتُن. أما الهيئات فقد ظهرت هيئة المشية الداللة على التناقل والمَرض، وهيئَة النَّظر الشَّاخصُ الحديث، وأما المتّمات المساعدة فأجلالها الرَّأسُ والعصيُّ الدال على المَرض، حقاً أنَّ هذا السَّرَّد المقدَّم بيَانُه يُبرهن أنَّ المعنى لا يمكن أنْ يؤخذ أو يُعيَّن من دلالات الألفاظ خاصة، ولغة المنشورة عامَّة فقط، فهناك عناصر أخرى تقدَّم معاني<sup>(٢٧٩)</sup>، ولعلَّ هذا، من وجهة أخرى، يُعيَّدنا إلى إلماحة الغزالِيِّ المُعِجبة: "فَاعْلَمْ أَنْ كُلَّ مَنْ طَلَبَ الْمَعْانِي أَوْلًا مِنَ الْأَلْفَاظِ ضَاعَ وَهَلَكَ، وَكَانَ كَمَنِ اسْتَدَبَ الْمَغْرِبَ وَهُوَ يَطَلَّبُه"<sup>(٢٨٠)</sup>.

وتاسِعُها أنَّ خاتمةَ القَوْلِ في هذِهِ الْمُبَاحَثَةِ يَنْبُغِي أَنْ تَكُونَ فَاتِحةً لِلْبَاحِثِ؛ إِذْ إِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى اسْتِكْمَالِ الْأَنْظَارِ الَّتِي تَسْتَغْرِقُ جَوَابَهُ، وَتُجْلِي حُدُودَهُ، وَحَسْبِي أَنَّنِي بَدَأْتُ، فَهَذَا نَظَرٌ بَحْثِي أَئَيْتُ فِيهِ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّوَاصِلِ غَيْرِ الْلُّفْظِيِّ فِي الْحَدِيثِ النَّبُوِيِّ الشَّرِيفِ، وَقَدْ عَرَجْتُ فِيهِ عَلَى هَيَّنَاتٍ جِسْمِيَّةٍ مُفْضِيَّةٍ إِلَى دِلَالَاتٍ، وَمُعِينَةٍ لِمَعَانٍ، وَمِنْ ذَلِكَ هَيَّنَاتُ الْوَجْهِ وَدِلَالَاتُهَا، وَالْعَيْنِ، وَالرَّأْسِ، وَالْيَدِ، وَالْمِشِيَّةِ، وَاللِّبْسَةِ، وَالْمُتَّمَمَاتُ الْمُسَانِدَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَحْثِ الَّذِي أَوْمَلُ أَنْ يَكُونَ فَاتِحةً لِدِرْسٍ أَرْجُبُ أَفْقًاً، وَأَكْثَرُ اسْتِغْرَاقًاً.

## الهوامش

- ١ - انظر: مهدي عرار، لغة الجسد وأثرها في الإبانة: دراسة في التراث البلاغي واللغوي، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، المجلد ٣٣، العدد ٦، م٢٠٠٦، ص ١٢٠-١٠٦.
- ٢ - انظر: مهدي عرار، لغة الجسد في النص القرآني الشريف: أمثلة جزئية وموجهاًت كلية، مجلة العربية، أمريكا، (قيد التحكيم، م٢٠٠٧).
- ٣ - انظر وسائل العربية في الإبانة والتواصل، والحديث عن النظام اللغوي: مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية، ط١، دار وائل، عمان، م٢٠٠٣، ص ٨٣ - ص ١٣، وتمام حسان، اللغة العربية: معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- ٤ - للتواصل غير اللفظي أشكال، منها الصمت، ولغة الجسد المشتملة على الحركات والإيماءات الجسدية، والهياكل، واللباس، واللمس، والشم والذوق، وغير ذلك، انظر:

Loretta A. Malandro, Larry L. Barker, Deborah Ann Barker,  
**Nonverbal Communication**, McGraw-Hill, 1989, pp.16-24.

وكذلك: مصطفى حجازي، الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، م١٩٩٧، ص ١١١ - ص ١٠١.

- ٥ - للتواصل غير اللفظي وظائف متنوعة عرج عليها المصنفون في هذا المطلب:

Loretta A. Malandro, **Nonverbal Communication**, pp.12, & Mark L., Knap, **Nonverbal Communication in Human Interaction**, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1972, pp. 9-11.

- ٦ - سورة مريم: الآية ٢٩.
- ٧ - انظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، ط٣، تحقيق قاسم الرفاعي، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٧ م، ص ١/٦٥، ص ٢/٢٦٨، ص ٤/٣٢١.
- ٨ - انظر: عمر بن أبي ربعة، ديوانه، تحقيق عبد أ. علي مهنا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ١٢١.
- ٩ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ترجمة محمود عمر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦ م، ص ١١٩.
- ١٠ - Pease, A., **Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures**, Camel Publishing Company, Australia, 1990, pp.6.
- Pease, **Body Language**, pp.5. - ١١
- Pease, **Body Language**, pp 8. - ١٢
- ١٣ - انظر: نتالي باكو، لغة الحركات، ط١، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥ م، ص ١٩.
- ١٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٦٤.
- ١٥ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ١١٨، وليس ذلك يعني أن التشابه بين اللغتين معدهم، بل الأمر بالضد، وقد أتيت في بحثي "لغة الجسم وأثرها في الإبانة" على بعض مواضع التشابه، فكثير من النظريات الدلالية والمعجمية يمكن أن تطبق على لغة الجسم، كنظرية الدال والمدلول، والتراصف، والمشترك، والسياق، ولمزيد بسط القول في ذلك انظر: مهدي عرار، لغة الجسم وأثرها في الإبانة، ص ١٠٧-١٠٩.
- ١٦ - لمزيد بسط القول في وظائف الحركات الجسدية انظر: Pease, **Body Language**, p. 6.

١٧ - انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان (٥٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م، ص١٢٤٨.

١٨ - انظر: ابن أبي طالب، أبو عبد الله محمد الانصاري (٧٣٧هـ)، **السياسة في علم الفراسة**، تحقيق أحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٥٨.

١٩ - انظر: المرجع نفسه، ص٥٨.

٢٠ - وقفت على مصنف طريف يتناول لغة الوجه وهيئاتها ودلاليتها، وهو:  
Mitchell, M. E., **How to Read the Language of the Face**, Macmillan, New York, 1968.

وانظر ما قيل في هيئاته ودلاليته:

Loretta A. Malandro, **Nonverbal Communication**, pp.123-132,  
Pease, **Body Language**, pp. 68-88.

٢١ - انظر: باكو، **لغة الحركات**، ص٦١.

٢٢ - انظر: Pease, **Body Language**, pp.21

٢٣ - انظر: البخاري، **ال الصحيح**، ص٤ / ٣٥٣.

٢٤ - انظر: المرجع نفسه، ص٣ / ٢٨٩.

٢٥ - المعاني الستة العالمية في علم الحركية هي الفرح، والدهشة، والاشمئزان، والحزن، والخوف، والغضب، باكو، **لغة الحركات**، ص٦٢، وقد أشار Pease إلى ثلاثة علماء درسوا تعابير الوجه لأناس من خمس ثقافات متباعدة، وكانت نتائج دراساتهم تدل على أن الثقافات الخمس التي أقيمت عليها الدراسة تلتقي على الإيماءات الوجهية نفسها، وهذا أفضى إلى التقرير بأن تلكم الإيماءات مما ينتمي إلى الفطرة التي أودعها الله فينا. انظر: Pease, **Body Language**, p. 8

- ٢٦ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ١٤٠.
- ٢٧ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣/٣١.
- ٢٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٣١.
- ٢٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/١٦٠.
- ٣٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٣١٤.
- ٣١ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٣٢.
- ٣٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٨.
- ٣٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٨.
- ٣٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٥٠٨.
- ٣٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/١٩.
- ٣٦ - تعمّر لونه ووجهه إذا تغير وعلته صفرة، وأصله قلة النضارة، وعدم إشراق اللون، وهو من قولهم: "مكان أمرع"، وهو الجدب الذي لا خصب فيه، انظر: لسان العرب، مادة "أمرع"، والبخاري، الصحيح، ص ٢/٢٦٠، ٢٦٤، ص ٤/٣٤٠.
- ٣٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/١١١، ص ٢/٢٦٣.
- ٣٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٣٦٧، ص ٣/٣٧٦.
- ٣٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/١١١، ص ٢/٢٦٣.
- ٤٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٢٨.
- ٤١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٧٣.
- ٤٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٦١٨.
- ٤٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٢٦٤، ٢٦٠.
- ٤٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/١١١.

- ٤٥ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٦١٨، ص٤/٣٤٠، .٤٢٨.
- ٤٦ - سورة النساء: الآية ٦٥، وانظر: المرجع نفسه، ص٣/٣٧٦.
- ٤٧ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٣٢٧، ص٤/٢٨٠.
- ٤٨ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٦٢١.
- ٤٩ - انظر: المرجع نفسه، ص١/١١١.
- ٥٠ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٥٠٣.
- ٥١ - انظر: المرجع نفسه، ص٤/٤٦٦.
- ٥٢ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٢٧١.
- ٥٣ - انظر: المرجع نفسه، ص٤/٤٦٦.
- ٥٤ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٣١٤.
- ٥٥ - انظر: المرجع نفسه، ص٣/٤٥٥.
- ٥٦ - انظر: المرجع نفسه، ص٤/٦٧٦.
- ٥٧ - انظر: المرجع نفسه، ص٢/٤٨٨.
- ٥٨ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "شیح".
- ٥٩ - انظر: البخاري، الصحيح، ص٤/٤٩٩.
- ٦٠ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص٢١٢.
- ٦١ - انظر: الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، سنن الترمذى، تحقيق أحمد شاكر وأخرين، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د١٧٣، السنن، باب ما جاء في صنائع المعروف (١٩٥٦)، ص٤/٣٣٩، وابن حبان، محمد بن حبان (٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ذكر كتبة الله جل وعلا الصدقية لل المسلم بتتبسمه في وجه أخيه المسلم (٤٧٤)، ص٢/٢٢١.

- ٦٢ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ٣٥٠.
- ٦٣ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٠ / ١.
- ٦٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١١.
- ٦٥ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣ / ٣١١.
- ٦٦ - انظر: ابن أبي طالب، السياسة في علم الفراسة، ص ٤٥.
- ٦٧ - انظر: باكو، لغة الحركات، ص ٦٠-٦١.
- ٦٨ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣ / ٣٢٢.
- ٦٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٣٨٩، ص ٤ / ٦٠٦، ٦٠٩.
- ٧٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٣.
- ٧١ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٣، ص ٤ / ٥٩٥.
- ٧٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٢٤، وقد عرج على هذه الحركة، أعني رفع الرأس "حركة مفاجئة" غدويس وغرrost، لغة الجسد، ترجمة هيلانة شقير، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٤٥.
- ٧٣ - في بعض الروايات "بiederها"، انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٥٠.
- ٧٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٥٠، ص ١ / ٤٢٣، ص ١ / ٥٣١، ص ٤ / ١٠٠.
- ٧٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٤٨٤، ٤٨٦، وهذا في باب التطوع في صلاة السفر.
- ٧٦ - سورة السجدة: الآية ١٢.
- ٧٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٥٠.
- ٧٨ - سورة المائدة: الآية ٣.
- ٧٩ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢ / ٦.

- ٨٠ - سورة طه: الآية .٨١
- ٨١ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ١ / ١٤٨
- ٨٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٤٣٨.
- ٨٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٤١٥.
- ٨٤ - انظر: ابن أبي طالب، السياسة في علم الفراسة، ص ٥٠.
- ٨٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٥٠.
- ٨٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ٥٧.
- ٨٧ - انظر: Pease, **Body Language**, p.133.
- ٨٨ - انظر: الشعابي، أبو منصور عبد الملك بن محمد (٢٩٤هـ)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م، ص ١٢٢-١٢٣.
- ٨٩ - انظر: الخرائطي، محمد بن جعفر (٣٢٧هـ)، اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين، تحقيق غريد الشيخ، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٢١٧.
- ٩٠ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ٣٩٢، ص ٤ / ٦٣٧.
- ٩١ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٣١٩، ٣٢٢.
- ٩٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٣١٩.
- ٩٣ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "بدد".
- ٩٤ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ١٣، ص ٤ / ٥٩٥.
- ٩٥ - كان ذلك قبل تحريم الخمر، انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٢٤٠.
- ٩٦ - لامه في شارفي علي بن أبي طالب، فقد أجب أسمتهما، وبقر خواصرهما، وأخذ من أكبادهما.
- ٩٧ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢ / ٥٠٤.

- ٩٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣٢٥ / ٣.
- ٩٩ - سورة ق: الآية ٢٢.
- ١٠٠ - انظر: الترمذى، السنن، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٦٣٩)، ص ٤ / ١٧٥.
- ١٠١ - سورة النساء: الآية ٤١.
- ١٠٢ - انظر: البخارى، الصحيح، ص ٣ / ٦٠٠.
- ١٠٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢٦٩.
- ١٠٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢٦٩.
- ١٠٥ - انظر: الخالديان، المختار من شعر بشار، ص ٦٣.
- ١٠٦ - انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص ١ / ٧٩، والمعمم الغامض المظلوم.
- ١٠٧ - انظر: الميدانى، أبو الفضل أحمد بن محمد (٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١ / ٤٤٥، والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (٣٨٥هـ)، المستقى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢ / ١٢٦.
- ١٠٨ - انظر: الميدانى، مجمع الأمثال، ص ١ / ٣٣٧.
- ١٠٩ - انظر: الميدانى، مجمع الأمثال، ص ١ / ٣٣٧.
- ١١٠ - انظر هيئات اليد ووظائفها ودلائلها عند:

Pease, **Body language**, p.54-68,

- باكو، لغة الحركات، ٤٢-٥٢، وغدويس، لغة الجسم، ص ١٢-١٥.
- ١١١ - القول لطبيب مسؤول عن قسم جراحة اليد في مستشفى تيمون في مرسيليا، وهو هنري بورو، انظر: باكو، لغة الحركات، ص ٤٢.
- ١١٢ - انظر: المرجع السابق، ص ٤٢.
- ١١٣ - انظر: الثعالبى، فقه اللغة، ص ١٩٤.

- ١١٤ - انظر: المرجع السابق، ص ١٩٤-١٩٦.
- ١١٥ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ١٢٠.
- ١١٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ١/٢٦٢، ٢٥٧، ٣٦٨، ص ٢/١٠٠.
- ١١٧ - انظر: المرجع السابق، ص ٢/٣٦٦.
- ١١٨ - انظر: المرجع السابق، ص ٣/٣٠١.
- ١١٩ - انظر: المرجع السابق، ص ٤/٤٧٠.
- ١٢٠ - انظر: المرجع السابق، ص ٢/٥٠٨.
- ١٢١ - انظر: المرجع السابق، ص ٣/٦٨٥، ص ٩/٤.
- ١٢٢ - انظر: المرجع السابق، ص ١/٣٣٣.
- ١٢٣ - أي: حَرَّكَ السُّوِيقَ بِعُودٍ لِيذُوبَ فِي الْمَاءِ، انظر: ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ص ٩/٤٣٨.
- ١٢٤ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢/٧٩، والحق أن هذا كثير في كتب الحديث، ومن ذلك لما رجع من خير بدا له أحد، فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه، ثم أشار بيده إلى المدينة، وقال: اللهم إني أحشر ما بين لابتبيها..."، ص ٢/٤٣٩، وكذلك إشارته إلى العراق في حديث: "وأهوى بيده قبل العراق"، ص ٤/٦٢٨، وكذلك إشارة جبريل إلى مساكنبني قريطة، ص ٣/٢١٦.
- ١٢٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٦٧٤.
- ١٢٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٣٨٥.
- ١٢٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/١٨٤.
- ١٢٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٥٢٣.
- ١٢٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٠٦.

- ١٢٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢٤٤ / ٢.
- ١٢١ - ابن منظور، اللسان، مادة "صفق".
- ١٢٢ - ابن الأثير، النهاية، ص ٣ / ٣٨، وابن منظور، اللسان، مادة "صفق".
- ١٢٣ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣ / ٧٦، ٢٠٠ / ٣.
- ١٢٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٤٢٨.
- ١٢٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٤٤٧.
- ١٢٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٦٦٨.
- ١٢٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٦٧٤، ٦٦٨، ص ٤ / ١٠٠.
- ١٢٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٦٩.
- ١٢٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٦٩.
- ١٣٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٠٣.
- ١٣١ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٣٥٧.
- ١٣٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٠٧.
- ١٣٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٤١٨.
- ١٣٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٤١٨.
- ١٣٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٠٣-١٠٢.
- ١٣٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٢.
- ١٣٧ - انظر: باكتو، لغة الحركات، ص ٣ / ٤٣.
- ١٣٨ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢ / ٣٦٠.
- ١٣٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٥١٨.
- ١٤٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٧١٩.
- ١٤١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٥١٩.
- ١٤٢ - انظر: المراجع المعاصرة

- ١٥٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٢٩١.
- ١٥٤ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ٢١٧.
- ١٥٥ - سورة الكهف: الآية ٧٧.
- ١٥٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢/١٩١.
- ١٥٧ - انظر: المرجع نفسه، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس(٨٤)، ص ١/٤٤.
- ١٥٨ - انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (١٣٩٣هـ)، أضواء البيان، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٣/٤٠٥.
- ١٥٩ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣/٤٩١.
- ١٦٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٤٢٩.
- ١٦١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٤٦٠.
- ١٦٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٣٢٢.
- ١٦٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٣٠.
- ١٦٤ - المعنى الإشاري هو المعنى المثبت في المعجم، وهو ما يشير إليه الدال من مدلول يلتقي عليه أبناء اللغة الواحدة، فهو مؤتلف من قطبين: الفكرة "Concept" ، والصورة الصوتية "Sound Image" ومن مجموعهما "Referential Meaning" انظر: دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد الكراعيين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ١٢١-١٢٢، وبالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م، ص ٤٦.
- ١٦٥ - الاقترانات اللغوية ملحوظ جد فعال في تعين المعنى، وقد عرفت بأنها ارتباط الكلمة بأخرى ارتباطاً يقرره العرف والعادة اللغوية، ولذا ليس

رفف الكلام Collocation أمراً ملقي على عواهنه، انظر:

Jackson, H., **Words and their Meaning**, Longman, London, 1991,  
p.97, & Robins, R.H., **General Linguistics**, Longman, New York,  
1989, p. 64.

- ١٦٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢ / ٨٠.
- ١٦٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٧٤، ص ٤ / ٤٠٤.
- ١٦٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٦٧٥.
- ١٦٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٥٢٣.
- ١٧٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ٤٢٢، ص ٣ / ٣٨، ص ٣ / ٣٩.
- ١٧١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٤٩، ص ٣ / ٣٦٩، ص ٣ / ٣٧٠.
- ١٧٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢٢٢.
- ١٧٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢١٥.
- ١٧٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢٤٧.
- ١٧٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٢٢٢.
- ١٧٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١ / ١٤٩.
- ١٧٧ - سورة الكهف: الآية ٥٤، وانظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٧٦٥.
- ١٧٨ - انظر: باكتو، لغة الحركات، ص ٣ / ٤.
- ١٧٩ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ٣.
- ١٨٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٠٣، والإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)،  
المسند، دار صادر، بيروت، دم، ص ٢ / ٣٧٥.
- ١٨١ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ١٠٤.
- ١٨٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣ / ٥٥٤.
- ١٨٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ٤٨٣.

١٨٤ - الجاحظ، البيان والتبيين، ص ١/٧٩، وابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (٤٥٦هـ)، العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط ٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١/٣٠٩.

١٨٥ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤/١٠٧.

١٨٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٦٥، ص ٢/٢٦٨، ص ٤/٣٢١.

١٨٧ - عرج على هذه الحركة "بيس" في كتابه "لغة الجسد"، ورأى أن لها دلالة سلبية، وأن أحد مندوبي المبيعات قد خسر معاملته المالية بسببها، فقد غدا لون يديه أبيض، وقد عقدت الأصابع فتدخلت، فكانت، كما يقول، ذات دلالة على خيبة الأمل، وعلى هيئة غير ودية، انظر: Body Language, p.56.

١٨٨ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ١/٢٦٥.

١٨٩ - انظر: باكو، لغة الحركات، ص ٤٥.

١٩٠ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ٧٢.

١٩١ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢/٨٥.

١٩٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٢٢١.

١٩٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٣٦٨.

١٩٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/١٠١.

١٩٥ - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ص ٩/٤٣٧.

١٩٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤/٢٧٧.

١٩٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٢٧٧.

١٩٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٤٤.

١٩٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٦٧٦، ١٠٠.

- ٢٠٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٦٩٩.
- ٢٠١ - انظر: ابن حجر، فتح الباري، ص ٩/٤٣٧.
- ٢٠٢ - انظر: مايكيل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ١١٨.
- ٢٠٣ - أتى الثعالبي على فصل في هيئات اللباس، فتحدث عن بعض الهيئات والدلائل، ومنها السُّدل، والتَّأْبِطُ، والاضطِبَاعُ، والتَّلَبِبُ، والتَّلَفُعُ، والقُبُوْعُ وغير ذلك. انظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص ٢٠٧.
- ٢٠٤ - سورة لقمان: الآية ١٨.
- ٢٠٥ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤/٢٦٤.
- ٢٠٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٢٦٥.
- ٢٠٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٨٨.
- ٢٠٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٨٨.
- ٢٠٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/١٢٥.
- ٢١٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/١٢٥.
- ٢١١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٤٦٠.
- ٢١٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤٣٠.
- ٢١٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/١٣٥.
- ٢١٤ - انظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص ١٩٨-١٩٩.
- ٢١٥ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ١/٣٢٣.
- ٢١٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٣٤٣، ص ٤/٢٤٠.
- ٢١٧ - انظر: باكتو، لغة الحركات، ص ٥٥.
- ٢١٨ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٢/٤٨٥.
- ٢١٩ - انظر: الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٣٦٠هـ)، المعجم الكبير،

تحقيق حمدي السلفي، دار الزهراء، الموصل، ١٩٨٣م، عمر بن قتادة (١٤)، ص ١٩/٩، وكذلك: سماك بن خرشة (٦٥٠٨)، ص ٧/١٠٤، والمناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير (شرح الجامع الصغير)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٦هـ، حرف السين، ص ٤/٢٧٧.

- ٢٢٠ - انظر هذا المبحث: انظر: Pease, *Body Language*, p.182. الحركات، ص ٥٦.

- ٢٢١ - انظر: النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم، ط٣، دار القلم، بيروت، د١٧٤، ص ١/٢٧٤.

- ٢٢٢ - انظر: Pease, *Body Language*, p.180.

- ٢٢٣ - يشار في "علم الحركية" إلى مناطق ومساحات بين المتوافقين أثناء الحديث، ويجب على المتفاهمين المحافظة على هذه الأبعاد والمساحات، كل بحسب علاقته بمن يقف وجاهه، ومن ذلك المنطقة الشخصية، والمنطقة الاجتماعية، والمنطقة العامة، والمنطقة العميقية، وهي التي تكون بين اثنين بينهما لحمة وعلاقة وثقة؛ كالزوجين، أو الحميمين، انظر: غدويس، لغة الجسد، ص ١١٨.

- ٢٢٤ - قال: "جلس على هيئة المتعلم"، انظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ص ١/٢٧٢، وقد وقف عند ما هو قريب من هذه الهيئة "بليس"، فقال مصوّراً هيئة الموظف مع الرئيس: "وهو جالس على الكرسي، ويضع يديه على ركبتيه، ووجهه للأسفل". انظر: Pease, *Body Language*, p.166.

- ٢٢٥ - الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة، أو انصراف المتكلم عن الخطاب إلى الإخبار، وهو عكس الأول؛ كقوله - تعالى - ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُتُمْ فِي الْفُلُكَ وَجَرَّيْنَ بِهِمْ بَرِيجٌ طَيْبَةٌ ﴾، أو انصراف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، أو انصراف الكلام إلى الغيبة، انظر ما قيل عنه: ابن المعتز، عبدالله بن محمد (٢٩٦هـ)، البديع، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٠٦، وقدامة بن

جعفر (٣٣٧هـ)، نقد الشعر، ضبط محمد منون، المطبعة الملية، القاهرة، ١٩٣٤م، ص ٨٧، وال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، تحقيق مفید قمیحة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٤٢٨، وابن رشيق، العمدة، ص ٢/٤٥.

- ٢٢٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣٤١/٢، ص ٤/٤٠٨.
- ٢٢٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٤٧٩.
- ٢٢٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٢٨٥.
- ٢٢٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٨٢٩.
- ٢٣٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٥٨٠.
- ٢٣١ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "غطط".
- ٢٣٢ - انظر: ابن أبي طالب، السياسة في علم الفراسة، ص ٤٨، ص ٤٩، ص ٥١.
- ٢٣٣ - انظر: باكو، لغة الحركات، ص ٩٢.
- ٢٣٤ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٣/٢٨٤، ص ٤/٧٦٤.
- ٢٣٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٢٨٤.
- ٢٣٦ - انظر: باكو، لغة الحركات، ص ٧٠ - ٧٥، و Pease, Body Language, p.155-162.
- ٢٣٧ - تربط باكو هذه الحركة بالسعادة والانفعال أحياناً. انظر: لغة الحركات، ص ٧٠.
- ٢٣٨ - انظر: Pease, Body Language, p.155.
- ٢٣٩ - انظر: مايكل كورباليس، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ص ٢١٢.
- ٢٤٠ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤/٤٥٥ - ٤٥٦.
- ٢٤١ - انظر: ابن ماجة، محمد بن يزيد (٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد

فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، دمت، باب الأمل والأجل، (٤٢٣١)، ص ٢٤١٤.

٢٤٢ - انظر: أحمد بن حنبل، المسند، آخر أحاديث عبد الله بن عباس (٤٤٣٧)،

ص ١/٤٦٥، والنيسابوري، الحكم محمد بن عبد الله (٤٠٥ هـ)، المستدرك

على الصحيحين، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٩٠م، تفسير سورة الأنعام (٣٢٤١)، ص ٢/٢٤٨، والبزار، أحمد بن

عمرو (٢٩٢ هـ)، المسند، تحقيق محفوظ الرحمن بن زين الله، مؤسسة

علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩هـ، عاصم بن بهلة (١٧١٨)، ص ٥/١٣١.

٢٤٣ - انظر: ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم (٢٢٨ هـ)، مسنده ابن راهويه، تحقيق

عبد الغفور البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٩٩١م،

(٤١٨)، ص ١/٣٨٧، والقالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ)

الأمامي، تحقيق محمد عبد الجود الأصمسي، ط١، دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣/١٧٣.

٢٤٤ - انظر: الترمذى، السنن، الباب (٩٨)، (٣٥٣٢)، ص ٥/٥٤٤.

٢٤٥ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "خصر".

٢٤٦ - انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "خصر".

٢٤٧ - انظر: البخارى، الصحيح، ص ٤/٥١١، ص ٤/٨٣٨.

٢٤٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٥٦٢.

٢٤٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٤٨٥.

٢٥٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٢٧١.

٢٥١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٦٨٦.

٢٥٢ - انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ص ١/٣٨٣.

٢٥٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٣٧٠.

٢٥٤ - انظر: البخارى، الصحيح، ص ٣/٣٢.

- ٢٥٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٧٦.
- ٢٥٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٢٦٠.
- ٢٥٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/١٣٢.
- ٢٥٨ - انظر الحديث: أحمد بن حنبل، المسند، ص ٢/٢٧٧، والنبوبي، شرح صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم، ص ١٥/٣٥٦.
- ٢٥٩ - انظر: النسائي، أحمد بن شعيب (٥٣٠ـ٣)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م، ذكر أشقي الناس (٨٥٣٨)، ص ٥/١٥٣، وفيض القدير، حرف الهمزة، ص ٣/٩٩.
- ٢٦٠ - انظر الحديث: أحمد بن حنبل، المسند، ص ٢/٢٧٧، والنبوبي، شرح صحيح مسلم، باب تحريم ظلم المسلم، ص ١٥/٣٥٦.
- ٢٦١ - انظر: ابن جني، الخصائص، ص ٢/٢٤٦.
- ٢٦٢ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٢٤٧.
- ٢٦٣ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤/٥٢٣.
- ٢٦٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٣/٣٢٢.
- ٢٦٥ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/١٠٧.
- ٢٦٦ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢/٢٦٥.
- ٢٦٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/٤١٨.
- ٢٦٨ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/١٣٤.
- ٢٦٩ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤/١٠٠.
- ٢٧٠ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٦١١.
- ٢٧١ - انظر: المرجع نفسه، ص ١/٦١١.
- ٢٧٢ - ورد هذا الباب في غير مصنف من كتب الحديث، ومن ذلك: المرجع نفسه،

- ص ١ / ٥٣٠-٥٣١، وأبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمّت، ص ١ / ٢٨٤، والدارقطني، علي بن عمر (٢٨٥ هـ)، السنن، تحقيق السيد عبد الله المدنى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦ م، ص ٢ / ٨٣، والصنعاني، عبد الرزاق بن همام (٢١١ هـ)، مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ، ص ٢ / ٢٥٨، والعظيم أبادى، محمد شمس الحق، عنون المعبدود، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥ م، ص ٣ / ١٥٥.
- ٢٧٢ - انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨ هـ)، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق محمد عطا، مكتبة دار البارز، مكة المكرمة، ١٩٩٤ م، ص ٣ / ٢٢١.
- ٢٧٣ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٢٥٨.
- ٢٧٤ - انظر: المرجع نفسه، ص ٢ / ٢٦١.
- ٢٧٥ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ١٠٢-١٠٣.
- ٢٧٦ - انظر: البخاري، الصحيح، ص ٤ / ١٠٣-١٠٤.
- ٢٧٧ - انظر: المرجع نفسه، ص ٤ / ١٠٢-١٠٣.
- ٢٧٨ - انظر: ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، ص ٨٢.
- ٢٧٩ - انظر: مهدي عرار، ظاهرة اللبس في العربية، ص ٧١-٨٣.
- ٢٨٠ - انظر: الغزالى، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥ هـ)، المستصفى في علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤ م، ص ١ / ٥٥.



## ثبت المصادر والمراجع

### أولاً - العربية:

- أبو عرقوب، إبراهيم، الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي، ط١، دار مجdalawi، عمان، ١٩٩٣م.
- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٣م.
- الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، مسنن الإمام أحمد، دار صادر، بيروت، د.ت، (وكل ذلك الطبعة الصادرة عن مؤسسة قرطبة، مصر، د.ت).
- آرمز، روی، لغة الصورة في السينما المعاصرة، ترجمة سعيد عبد المحسن، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
- الأصفهاني، أبو بكر محمد بن أبي سليمان (٢٩٧هـ)، الزهرة، تحقيق إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م.
- باكو، نتالی، لغة الحركات، ط١، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.
- بالمر، ف، ر، علم الدلالة، إطار جديد، ترجمة ترجمة صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ط٣، تحقيق قاسم الرفاعي، دار الأرقام، بيروت، ١٩٩٧م. (وكل ذلك الطبعة التي حققها مصطفى البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٧م).
- البزار، أحمد بن عمرو (٢٩٢هـ)، المسند، تحقيق محفوظ الرحمن بن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- بيذ، ألن، مهارات تحقيق المبيعات الناجحة، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٩م.

- البيهقي، أحمد بن الحسين (٤٥٨هـ)، *سنن البيهقي الكبرى*، تحقيق محمد عطا، مكتبة دار البارز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.
- الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ)، *سنن الترمذى*، مراجعة صدقى العطار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، (و كذلك الطبعة التى حققها أحمد شاكر وأخرون، دار إحياء التراث العربى، بيروت، د.ت).
- الثعالبى، أبو منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩هـ)، *فقه اللغة وسر العربية*، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبيارى، وعبد الحفيظ شبلى، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٧م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (٢٥٥هـ)، *البيان والتبيين*، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
- الجرجانى، عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ)، *دلائل الإعجاز*، تحقيق محمود شاكر، ط٢، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ابن جنى، أبو الفتح عثمان (٣٩٢هـ)، *الخصائص*، تحقيق محمد علي النجار، ط٤، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠م.
- جيرو، بيير، *علم الإشارة*، ترجمة منذر عياشى، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٢م.
- ابن حبان، محمد بن حبان (٣٥٤هـ)، *صحيح ابن حبان*، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- حجازى، مصطفى، *الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية*، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧م.
- ابن حجر، أحمد بن علي (٨٥٢هـ)، *فتح الباري في شرح صحيح البخاري*، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- حسان، تمام *اللغة العربية: معناها وبناؤها*، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د.ت.
- الخرائطي، محمد بن جعفر (٣٢٧هـ)، *اعتلال القلوب في أخبار العشاق والمحبين*، تحقيق غريد الشيخ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

- الدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ)، السنن، تحقيق السيد عبد الله المدنى، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٦م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق عزة الدعايس وعادل السيد، ط١، دار ابن حزم، ١٩٩٧م، (و كذلك النسخة التي حققها محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، د٤).
- دبابنة، سمير، نافذة على تعليم الصم، مؤسسة الأرضي المقدسة (منشورات منظمة المبادرات " التعليم الصم ")، السلط، ط١، ١٩٩٦م.
- دي سوسير، فرينداند، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد الكراعنين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
- الراغب، أبو القاسم حسين بن محمد (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد الكيلاني، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦١م.
- ابن راهويه، إسحاق بن إبراهيم (٢٢٨هـ)، مسنن ابن راهويه، تحقيق عبد الغفور البلوشي، ط١، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، ١٩٩١م.
- ابن أبي ربيعة، عمر، ديوانه، تحقيق عبد أ. علي مهنا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م.
- ابن رشيق، الحسن بن رشيق (٤٥٦هـ)، العمدة في محسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٦٣م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، المستقسى في أمثال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
- زيعور، علي، اللاوعي الثقافي ولغة الجسد وال التواصل غير اللغطي في الذات العربية، ط١، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩١م.
- سيد عبید، ماجدة، القاموس الإشاري للصم، ط١، نشر على نفقة المؤلفة، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٢م.
- الشريف، الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (٤٠٦هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ط١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦م.

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد (١٣٩٣هـ)، *أصواء البيان*، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- الصناعي، عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ)، *مصنف عبد الرزاق*، تحقيق حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- ابن أبي طالب، أبو عبد الله محمد الانصاري (٧٣٧هـ)، *السياسة في علم الفراسة*، تحقيق أحمد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (٥٣٦هـ)، *المعجم الكبير*، تحقيق حمدي السلفي، دار الزهراء، الموصل، ١٩٨٣م.
- ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (٢٢٨هـ)، *العقد الفريد*، شرح أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، دار الأندلس، بيروت، ١٩٩٦م.
- عبد الفتاح، نازك، *مشكلات اللغة والاتخاطب في ضوء علم اللغة النفسي*، ط١، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- عرار، مهدي: - سياق الحال عند الإمام الغزالي في المستصفى: دراسة دلالية تواصيلية، مجلة العربية، ع٣٩، أمريكا، ٢٠٠٢.
- ظاهرة اللبس في العربية: جدل التواصل والتفاصيل، ط١، دار وائل، عمان، ٢٠٠٣م.
- لغة الجسم وأثرها في الإبارة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، مجلة دراسات، المجلد ٣٣، العدد ١، ٢٠٠٦م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (٣٩٥هـ)، *كتاب الصناعتين*، تحقيق مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩م.
- العظيم أبادي، محمد شمس الحق، عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- غدويس وغروست، لغة الجسد، ترجمة هيلانة شقير، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٥م.

- الغزالي، الإمام أبو حامد، محمد بن محمد (٥٠٥ هـ)، المستصفى في علوم الأصول، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت، ١٩٩٤ م.
- القالى، أبو علي إسماعيل بن القاسم (٣٥٦ هـ)، الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواب الأصمسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦ م.
- قدامة بن جعفر (٢٣٧ هـ)، نقد الشعر، ضبط محمد منون، المطبعة المليجية، القاهرة، ١٩٣٤ م.
- كشاش، محمد، لغة العيون: حقيقتها، مواضعها، أغراضها، مفرداتها، ألفاظها، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٩ م.
- كورباليس مايكل، في نشأة اللغة: من إشارة اليد إلى نطق الفم، ترجمة محمود عمر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٦ م.
- أ. كوند، راتوف، أصوات وإشارات: دراسة في علم اللغة، ترجمة إدور يوحنا، وزارة الإعلام، بغداد، (د.ت.).
- لوشكى، مارفين، التمثيل الصامت: فهم وأداء الصمت المعبّر، ترجمة سامي صلاح، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- ماتيلار، أرماندو وماتيلار ميشيليه، نظريات الاتصال، ترجمة أديب الخضور، ط١، المكتبة الإعلامية، دمشق، ٢٠٠٣ م.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد (٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- المتوكل، أحمد، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦ م.
- ابن المعتز، عبد الله بن محمد (٢٩٦ هـ)، البديع، شرح محمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٥ م.
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القيدير (شرح الجامع الصغير)، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٥٦ هـ.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق سعيد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢م.
- النسائي، أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- النمر، محمد صبري، أساليب الاتصال الاجتماعي، المكتب العلمي للنشر، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، شرح صحيح مسلم، ط٣، دار القلم، بيروت، د.ت.
- النيسابوري، الحكم محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ)، المستدرك على الصالحين، تحقيق مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.

### **ثانياً - الإنجليزية:**

- Akmajian,A. et al. **Linguistics: An Introduction to Language and Communication**, The MIT Press, Massachusetts, 1979.
- Scheflen, Albert E. and Scheflen Alice, **Body Language and Social Order: Communication as Behavioral Control**, Prentice-Hall, Englewood Cliffs, 1972.
- Armstrong, D. F., **Original Signs: Gesture, Sign, and the Source of Language**, Gallaudet University Press, Washington, D.C., 1999.
- Armstrong, D. F., W. C. Stokoe and S. E. Wilcox, **Gesture and the Nature of Language**, Cambridge University Press, Cambridge, 1995.
- Downes, W., **Language and Society**, 2nd edition, Cambridge University, Cambridge, 1998.
- Feyereisen, P., **The Competition Between Gesture and Speech Production in Dual-task Paradigms**, Journal of Memory and Language 36, 13-33.
- Hess, E., **The Tell-Tale Eye**, Van Nostrand Reinhold, New York, 1975.
- Hopkins, W. D., **Hand Use and Gestural Communication in Chim-**

- panzees**, Journal of Comparative Psychology 112, 95-99.
- Jackson, H., **Words and their Meaning**, Longman, London, 1991.
  - Kindon, A., **Sign Language of Aboriginal Australia**, Cambridge University Press, 1988.
  - Malandro Loretta A., Larry L. Barker and Deborah Ann Barker, **Nonverbal Communication**, McGraw-Hill, 1989.
  - Knap, Mark L., **Nonverbal Communication in Human Interaction**, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1972.
  - Mitchell, M. E., **How to Read the Language of the Face**, Macmillan, New York, 1968.
  - Paul, L., **Visual Communication: Images with Messages**, Wadsworth Publishing Company, California, 1995.
  - Pease, A., **Body Language: How to Read Others' Thoughts by Their Gestures**, Camel Publishing Company, Australia, 1990.
  - Robins, R.H., **General Linguistics**, Longman, New York, 1989.

# Non-verbal Communication in the Sayings of Prophet Mohammed: A Study in Body Language

## Abstract

This research aims at studying meaning through body language in the prophet's sayings. The researcher has looked into a set of the features of body movements which include the face, the eyes, the hands and the fingers, in addition to walking steps, posture, clothing, etc. The study comprises five sections: (1) the introduction which includes elaboration and interpretation of the title, non-verbal communication in general and body language in particular, (2) body movements and their implications in the prophet's sayings, (3) supportive body complements and accessories, (4) body movements between the performance of the first sender and the acting of the teller, and (5) reference to old authors who examined this phenomenon.

**Author:****Dr.Mahdi Arar**

- Ph.D. in Linguistics and Language Sciences, University of Jordan, 1999, Associate Professor, Department of Arabic Language, Birzeit University, Palestine.
- Has received The Kuwait Foundation for the Advancement of Science Award for his book Al-Bayan Bila Lisan. Best book in Arts and Humanities for 2008, Kuwait, 2009.

**Publications:****A. Books**

- 1 - The Equivocation Phenomenon in Arabic, Lebanon Publisher, Beirut, 2008.
- 2 - A Linguistic Study of Quranic Discourse, Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2008.
- 3 - Discourse without Speech: A Study of Body Language, Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2007.
- 4 - Semantic Development: Forms, Ambiguity and Examples, Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2003.
- 5 - Dialectic of Utterance and Meaning: A Study in Arabic Semantics, Dar Wael for Publishing, Amman, 2002.
- 6 - Guiding Knowledge Seekers to Scholars' Status, by Sha'rani (H. 973), Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2006.
- 7 - Crystal-clear Victory in the Eulogy of the Trustworthy, by Aisha Baouni (H. 922), Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2007.
- 8 - Spring Flowers in Rhetoric, by Ibn Qurqumas (H. 882), Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2007.
- 9 - Exploratory Rules for Heavenly Attributes, by Sha'ranin (H. 973), Dar al-Kutub al-'ilmiyya, Beirut, 2007.

**B. Articles**

- 1 - Impact of Semantic Development on Reception: The Prophet's Hadith as a Model, Journal of Shrijah University (UAE) 5 (1), 2008.
- 2 - Syntactic Phenomena in Reading Ibn Muheisin al-Makki, Al-Abhath (American University of Beirut) 33 (1), 2006.
- 3 - Impact of Body Language on Explicating Meaning: A Rhetorical and Linguistic Study, Dirasat Journal (Jordan University) 33 (1), 2006.
- 4 - Arabic Changeability between the Past and the Present: Arabic Vocabulary as an Example, Journal of Arabic Language Academy, Amman, Jordan, 2005.
- 5 - Phonetic Dialectic Variation in Problematic Hadeeth in the Book of "An-Nihaya", Dirasat (University of Jordan) 31, 2004.
- 6 - Lexical Semantic Change from the Concrete to the Abstract in the Arabic Lexicon, Dirasat (University of Jordan) 30, 2003.
- 7 - Deconstruction between Theory and Practice: 'Kaana maa sawfa yakuun' as a Model, Al-Abhath (American University of Beirut) 50- 51, 2003.

Monograph 304

# **Non-Verbal Communication in the Sayings of Prophet Mohammad: A Study in Body Language**

**Dr. Mahdi Arar**

Department of Arabic Language and Literature  
University of Birzeit  
Palestine